المراحل الأولى لليوم الآخر في نبوءات سِفر زكريا وتأثيرها على الفكر الديني اليهودي «لدولة اسرائيل»

دراسة تحليلية نقدية في ضوء الإسلام

د. علاء صالح هيلات(*)

(*) أستاذ مساعد بقسم أصول الدين – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة اليرموك – المملكة الأردنية الهاشمية.

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث موضوع المراحل الأولى لليوم الآخر عند اليهود كما جاءت في سفر زكريا أحد أهم أسفار العهد القديم من ناحية حديثه عن اليوم الآخر في الفكر اليهودي ، وكيف أثرت هذه المراحل في الفكر الديني اليهودي، وفي الفكر الصهيوني الذي أقام دولة إسرائيل في فلسطين ، ويتحدث عن العقائد اليهودية التي نتجت عن إيمان اليهود بهذه المراحل، وأثرت في صياغة علاقتهم بالإله وبشعوب المنطقة من حولهم، ونظرتهم لأنفسهم ولمصيرهم في آخر الزمان ، ويوضح القضايا التي دمج اليهود فيها بين الدين والسياسة، والقضايا المتعلقة باليوم الآخر التي غيرها الفكر الصهيوني إلى مفاهيم علمانية، استخدمها الصهاينة لإقناع اليهود المتدينين بأفعالهم في دولة إسرائيل وطموحاتهم فيها ومن خلالها .

ويتحدث عن موقف الإسلام من هذه النبوءات ومن القضايا التي أحدثتها في الفكر الديني اليهودي لدولة إسرائيل، من خلال المفاهيم الدينية والنصوص الدينية الإسلامية التي تحدثت عن مصير اليهود، وتحدثت عن أفكارهم الدينية ومدى إمكان قبولها من عدمه.

المقدمة:

هذا البحث يتناول قضية مهمة وأساسية في الفكر اليهودي والتوراتي على حد سواء، وهي: قضية النبوءات المتعلقة باليوم الآخر، والتي ظهرت بقوة في أسفار الأنبياء من العهد القديم، حيث إنه لا فكر ولا دولة قائمة ومؤسسة على الفكر التنبؤي «كإسرائيل»، وإن من أبرز الأسفار وأهمها التي عكست وأثرت نبوءاتها في الفكر اليهودي لدولة إسرائيل على المستويين الشخصي للفرد اليهودي والعام لدولة إسرائيل هو: سفر النبي زكريا.

إن هذا السفر يشكل بكليته نبوءة متكاملة تتحدث عن قضية واحدة، وهي: آخر الأيام «لدولة إسرائيل» وما سيحل بها، وما سيحل بالدول المجاورة حولها، والدول والأمم التي عادتها عبر التاريخ، بل والتي ستعاديها فيما تفترضه النبوءة، وهو من أعمق أسفار العهد القديم وأكثرها احتواءً للإشارات المستقبلية.

وتعددت تفسيرات نبوءاته لدى الباحثين في الأديان السماوية الثلاث، فعده اليهود نبوءة عن آخر أيامهم والتي ستنتصر فيها إرادة الرب بتملكهم الأرض وانتصارهم على كل الأمم، وعده المسيحيون نبوءة متعلقة بمجيء المسيح المنتظر وأن كل ما فيه من نصوص تمهد لقضية عودته إلى الأرض وإحلال السلام فيها وسيطرة المسيحيين على الأمم بقيادة المسيح، وبعض الباحثين المسلمين الدارسين للفكر اليهودي والتوراتي عدوه نبوءة تحتوي على بعض الإشارات التي تؤيد ما ورد في السنة المطهرة لأحداث آخر الزمان وأشراط الساعة الكبرى فيما يتوافق مع العقيدة الإسلامية عند تفسيره من وجه النظر الإسلامية.

وإنني سأفرد بحثي هذا في تأثير نبوءات هذا السفر الأخروية حسب الفكر اليهودي، فقد وجدت أن نبوءات هذا السفر انعكست آثارها على الفكر الصهيوني لدولة إسرائيل في الوقت المعاصر، وعلى الفكر الديني اليهودي عموماً؛ لهذا وجدت أنه من الأهمية أن أدرس هذا السفر وتأثيراته على الفكر اليهودي والفكر الصهيوني الذي كون دولة إسرائيل، وسأبين موقف الإسلام من هذه النبوءات ومن تأثيراتها على الفكر

الديني «لدولة إسرائيل» باختصار شديد، لأنني سأقوم بدراسة التفسيرين المسيحي والإسلامي لنبوءات هذا السفر في أبحاث قادمة بإذن الله تعالى.

وقد وجدت أن هذا السفر يتحدث عن عشر مراحل لليوم الآخر، وهي: **المرحلة الأولى:** رجوع الرب إلى اليهود والى أورشليم، **والمرحلة الثانية:** بناء الهيكل وسكن الرب فيه، **والمرحلة الثالثة:** مجيء المسيح المخلص، **والمرحلة الرابعة:** خروج جيش لقتال الأمم، **والمرحلة الخامسة:** معاقبة أعداء اليهود والانتصار على كل الأمم، **والمرحلة السادسة:** تحرير أورشليم وتجميع كل اليهود فيها – «البعث»، **والمرحلة السابعة:** تطهير الكهنة، **والمرحلة الثامنة:** تطهير الأرض من الشر والأصنام والأنبياء الكذبة، **والمرحلة التاسعة:** حلول العدل والرحمة والخير والسلام والنعيم، **والمرحلة العاشرة:** خضوع كل أمم الأرض لرب اليهود ولليهود.

وهي تنقسم إلى قسمين: المراحل الخمس الأولى، وجاءت في نبوءات أقرب لأن تكون نبوءات شرطية، توحي لليهود أنهم إذا حققوا بعضها جاء بعضها الآخر، وإذا تحققت كلها أنتجت القسم الثاني من النبوءات، وهي المراحل الخمس الثانية التي تعد نتائج للمراحل الأولى، فالمراحل الخمس الأولى تعد مقدمات لمفهوم اليوم الآخر والخمس التالية تعد نتائج تلك المقدمات.

لهذا آثرت أن أفرد المراحل الخمس الأولى في بحث مستقل – وهو هذا البحث – أتحدث فيه عن هذه المراحل وعن النبوءات التي جاءت فيها في سفر زكريا وتأثيرها على الفكر اليهودي والصهيوني «لدولة إسرائيل»؛ نظراً لأهميتها الكبيرة وأهمية الآثار التي عكستها على الفكر اليهودي، ومحاولة لتفسير الأفكار الدينية الأساسية «لدولة إسرائيل» تفسيراً دينياً مع اختلاطها بالمفاهيم السياسية والعلمانية «لدولة إسرائيل»، ثم سأفرد المراحل الخمس الثانية التي هي نتائج وثمرات اليوم الآخر في سفر زكريا في بحث آخر مستقل.

أهمية البحث:

تتمثل أهمية هذا البحث في التركيز على قضية وجود أسفار في العهد القديم تؤثر حاليا في الفكر اليهودي الذي تقوم عليه «دولة إسرائيل» في الوقت المعاصر، والبحث عن الأصول الفكرية لها في كتابهم المقدس، مع أن العهد القديم والتلمود هما أهم كتابين أسسا الفكر الديني اليهودي «لدولة إسرائيل» بشكل عام، ولكن تبرز أهمية هذا البحث في إظهار جوانب التأثر في هذه الكتب وتحديدها بدقة.

وتتمثل أهميته كذلك في التركيز على بعض النبوءات التي يؤمن بها اليهود، ويؤمنون بتحقق وقوعها، بل ويخططون بكل جد وإصرار وعناية إلى لي أعناق الأحداث التي تدور حول «دولتهم» لأجل إتمام الشروط التي وضعها كتبة الأسفار لأجل تحقيق النبوءات التي تتنبأ بانتصارهم على أهل الأرض وتملكهم لها ولهم.

إشكالية البحث:

أردت أن أعالج في هذا البحث قضية إبراز أهم مظاهر تأثر الفكر اليهودي والصهيوني «لدولة إسرائيل» بنبوءات سفر زكريا التي تخدم مصلحة إسرائيل في المنطقة بل وفي الأرض كلها والتي تعكس أحداث اليوم الآخر في المفهوم التوراتي، وكيف وظفها اليهود في بناء المفاهيم الدينية لدولتهم القائمة في فلسطين الآن.

وحيث إن سفر زكريا كتب قبل وجود «دولة إسرائيل» بزمن طويل وقرأته كل أجيال اليهود جيلاً تلو جيل فلا بد أن يكون السابق قد أثر في اللاحق، فأردت من خلال هذا البحث اكتشاف أوجه التأثير التنبؤي من خلال هذا السفر على البناء الديني السياسي المختلط لدولة إسرائيل.

وأردت أن أثبت أن «دولة إسرائيل» رغم علمانيتها وقيامها على كثير من الأفكار العلمانية إلا أنها تقوم على كثير من الأفكار والأسس الدينية، وفي أقل تقدير تلك الأفكار الدينية التي تتحدث عن مستقبل إسرائيل وعن الأحداث التي ستقع «لدولتهم» تحت مفهوم اليوم الآخر.

منهجية البحث :

استخدمت في هذا البحث ثلاثة مناهج.

الأول: المنهج الاستقرائي، حيث قمت باستقراء نصوص سفر زكريا، واستخرجت منها أهم نصوص النبوءات التي تأسس عليها بحثي.

والثاني: المنهج التحليلي، والذي قمت من خلاله بتحليل هذا النصوص التي تضمنت نبوءات هذا السفر وتحليل الآثار التي أحدثتها في البناء الفكري الديني والسياسي «لدولة إسرائيل».

والثالث: المنهج الاسترادادي، والذي يقوم على رد الأفكار الدينية المستقبلية «لدولة إسرائيل» إلى أصولها في كتابهم المقدس وإظهار علاقة هذه الأصول بالفكر اليهودي المعاصر من ناحية التأثر والتطبيق.

خطة البحث:

تمهيـد:

المطلب الأول: تعريف عام باليوم الآخر في الفكر الديني اليهودي.

المطلب الثاني: تعريف بسفر زكريا في العهد القديم.

الفصل الأول: مراحل اليوم الآخر الأولى في نبوءات سفر زكريا.

المرحلة الأولى: رجوع الرب إلى اليهود وإلى أورشليم.

المرحلة الثانية: بناء الهيكل وسكن الرب فيه.

المرحلة الثالثة: مجيء المسيح المخلص.

المرحلتان الرابعة والخامسة: «خروج جيش لقتال الأمم» و «معاقبة أعداء اليهود والانتصار على كل الأمم».

الفصل الثاني: تأثير المراحل الأولى لليوم الآخر في نبوءات سفر زكريا على الفكر

الديني اليهودي «لدولة إسرائيل».

المبحث الأول: تأثير المرحلة الأولى لليوم الآخر: «رجوع الرب إلى اليهود وإلى أورشليم» على الفكر الديني «لدولة إسرائيل».

المطلب الأول: مفهوم الغضب الإلهي ومفهوم «الوفاء الإلهي».

المطلب الثاني: حتمية رجوع الرب ونصرته لليهود في اليوم الآخر.

المبحث الثاني: تأثير المرحلة الثانية لليوم الآخر: «بناء الهيكل وسكن الرب فيه» على الفكر الديني «لدولة إسرائيل».

المطلب الأول: المفهوم الديني للهيكل ومكانته في الفكر اليهودي.

المطلب الثاني: اعتماد الفكر اليهودي الديني على عقيدة السكنى «الشيخيناه».

المبحث الثالث: تأثير المرحلة الثانية لليوم الآخر: «مجيء المسيح المخلص» على الفكر الديني «لدولة إسرائيل».

المطلب الأول: معنى كلمة المسيح وتأثيرها على الفكر اليهودي.

المطلب الثاني: اختلاف الفكر اليهودي في ترتيب مجيء المسيح كمرحلة من مراحل اليوم الآخر.

المطلب الثالث: القضايا الدينية التي نتجت عن الإيمان بمجيء المسيح في الفكر اليهودي.

المبحث الرابع: تأثير المرحلتين الرابعة والخامسة لليوم الآخر: «خروج جيش لقتال الأمم ومعاقبة أعداء اليهود والانتصار على كل الأمم» على الفكر الديني «لدولة إسرائيل».

المطلب الأول: ظهور مصطلح «يوم الرب» في الفكر اليهودي كمصطلح ديني أساسي.

المطلب الثاني: السيطرة على العالم.

المطلب الثالث: إعطاء الحرب وكل مكوناتها بعداً إلهياً مقدساً.

المطلب الرابع: عسكرة المجتمع الإسرائيلي.

الفصل الثالث: موقف الإسلام من نبوءات سفر زكريا التي ضمت المراحل الأولى لليوم الآخر وأثرت في الفكر الديني «لدولة إسرائيل».

الخاتمة وفيها أهم النتائج.

تمهيـــــد

المطلب الأول

تعريف عام باليوم الآخر في الفكر الديني اليهودي

إن في حديثنا عن مفهوم اليوم الآخر في الفكر اليهودي يجب أن نفرق بداية بين عقيدة اليهود في اليوم الآخر وبين عقيدة الكتب اليهودية المقدسة في اليوم الآخر وبالذات العهد القديم، فالأنبياء الأوائل الذين نسب اليهود أنفسهم لهم من عند إبراهيم -عليه السلام- وحتى موسى -عليه السلام- كانوا يثبتون وجود اليوم الآخر ويؤمنون به، فقد أشار القرآن الكريم في عدد من الآيات إلى إيمان هؤلاء الأنبياء جميعاً باليوم الآخر فقال تعالى مخاطباً موسى -عليه السلام-: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾﴾.[1] بل وأشار إلى إيمان اليهود أنفسهم باليوم الآخر فقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾.[2]

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ

(١) سورة طه ١٤ - ١٦.

(٢) سورة آل عمران ٢٣ - ٢٤.

تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾،[1] وقال تعالى في الرد على زعمهم بأن الدار الآخرة ستكون لهم وحدهم ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾.[2]

فيتضح من خلال هذه الآيات الكريمات أن اليهود كانوا يعتقدون بوجود الجنة والنار، ويعتقدون بأن الدار الآخرة ستكون لهم وحدهم من دون الناس، فرد الله تعالى على بطلان عقيدتهم في شيء يتعلق باليوم الآخر، أما مجرد إيمانهم بوجود اليوم الآخر بشكل عام فقد كان حاصلاً.

أما كتبهم المقدسة وبالذات العهد القديم: فقد بينت أسفاره أن عقيدة اليوم الآخر عند اليهود مرت بثلاث مراحل، وهي:

المرحلة الأولى: مرحلة إغفال الحديث عن اليوم الآخر أساساً، وعكست هذه المرحلة الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم والمسماة بأسفار التوراة والمنسوبة لموسى –عليه السلام– حيث لم تتحدث عن اليوم الآخر لا من قريب ولا من بعيد.[3]

المرحلة الثانية: وهي مرحلة الغموض في مفهوم اليوم الآخر، وهي المرحلة التي عكستها بعض الأسفار التاريخية[4] والأسفار الكتابية[5] في العهد القديم، حيث تحدثت هذه الأسفار عن الفترة التي قضاها اليهود في فلسطين، حيث تميزت هذه الفترة بغزو المعتقدات الشرقية لفكرهم الديني واقتربت من الفكرين السومري والبابلي، فتصدرت فكرة العالم الأسفل وفكرة الهاوية والجحيم الفكر الأخروي اليهودي، وبقيت فكرة الخلود غامضة لديهم، حيث وصف السومريون والبابليون العالم الآخر

---

(١) سورة البقرة ١١١.

(٢) سورة البقرة ٩٤.

(٣) الخطيب – د. محمد – مقارنة الأديان – ط ١ – ٢٠٠٤ – دار المسيرة – عمان – ص ١٧١ بتصرف – مبيض – يسر محمد – اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة – ط ١ – ١٩٩٢ – مكتبة الغزالي – إدلب – ص ٥٠ – ٥٧.

(٤) وعددها اثنا عشر سفراً من سفر يشوع حتى سفر استير.

(٥) وعددها خمسة أسفار وهي: أيوب والمزامير والأمثال والجامعة ونشيد الإنشاد.

أنه عالم الظلام والرهبة وهو المكان الذي إذا ذهب إليه الإنسان لا يخرج أبدا.[١]

وتميزت أسفار هذه المرحلة بالحديث الأسطوري والخيالي عن اليوم الآخر، وأنه عبارة عن يوم من أيام الدنيا، وأن العقاب فيه إما يكون بالمرض والآلام وفقد المال، وإما في التيه في أرض الظلام، لهذا لم يستطع كتبة هذه الأسفار في هذه المرحلة أن يعكسوا صورة واضحة عن مفهوم اليوم الآخر، وانحصروا في تقليد بعض المفاهيم السطحية الغامضة عن اليوم الآخر لدى الشعوب التي احتكوا فيها وعاشوا بينها.[٢]

المرحلة الثالثة: وهي مرحلة أنبياء فترة السبي البابلي، وفترة ما بعد السبي البابلي، وتميزت هذه المرحلة بدرجة جيدة من وضوح مفهوم اليهود لليوم الآخر ومقدماته وما سيحدث فيه من أحداث وماذا سيحل باليهود فيه، وقد أنتج اليهود مفهومهم لليوم الآخر في هذه المرحلة من خلال التغيرات التاريخية التي مروا فيها وانعكست على حالتهم وانفعالاتهم النفسية في تصورهم لإرادة الله وللكون أجمع ولموقعهم فيه.

فبعد أن تعرضوا لمظاهر القمع والقهر والاضطهاد على يد الآشوريين والبابليين ثم الأمم التي استعمرتهم وتحكمت بإرادتهم وعرفوا حياة التمزق والخوف والعبودية خابت آمالهم في تحقيق السعادة على الأرض، وبدؤوا يتطلعون إلى سعادة أخرى تأتي من السماء، وكأنهم حين عجزوا عن القصاص لأنفسهم في الدنيا شرعوا يحلمون بقصاص عادل في يوم عصيب من كل الأمم التي أذلتهم.[٣]

فقد تطور الفكر الأخروي اليهودي على يد الأنبياء، وظهر كل من عاموس وهوشع مع بداية حكم الملوك، فطور الأول فكرة «يوم الرب «بحيث تحولت إلى فكرة يوم الحساب وهو مفهوم أكثر عالمية وأخلاقية، فهو اليوم الذي سيحاسب فيه الإله كل

---

(١) الخطيب – مقارنة الأديان – ص ١٧١ بتصرف – السواح – فراس – لغز عشتار– ط ١٩٩٥١ – دار علاء الدين – دمشق – ص ٣٨١.

(٢) سوسه – أحمد – العرب واليهود في التاريخ – ط ٢ – العربي للإعلان والنشر – ص ١٩١.

(٣) الخطيب – مقارن الأديان – ص ١٧٤ – عن كتاب إضمحلال الإمبراطورية الرومانية – ادوارد جيبون – م ١ – ص ٣٤٦ بتصرف

الناس اليهود وغير اليهود ويشير عاموس إلى تغيرات ستدخل على الطبيعة، مثل كسوف الشمس، كما ظهرت فكرة السلام الذي سيعم الأرض ويشمل كل الأمم.[١]

«ثم شكلت واقعة السبي نقطة تحول في تاريخ الأفكار الأخروية اليهودية، إذ اكتسبت فكرة العودة وإعادة بناء الهيكل مركزية حقيقة في الأسفار التي تحدثت عن هذه الفترة، حيث تظهر هذه الفكرة الأخروية في سفر حزقيال، وتصبح الحرب الكونية وحرب يأجوج ومأجوج من العلامات المهمة على آخر الأيام، ويصبح التاريخ مجرد تعبير عن خطة إلهية مقررة مسبقاً، كما أن الأبعاد الكونية أصبحت أكثر وضوحا وبروزاً، وأصبحت الأفكار الأخروية لا تتحدث عن بداية مرحلة تاريخية جديدة وإنما عن تحول كوني كامل نتيجة تدخل الهي يتعلق بشعبه المختار وبكل الأمم التي آذت هذا الشعب».[٢]

المطلب الثاني

تعريف بسفر زكريا في العهد القديم

سفر زكريا هو السفر الثامن والثلاثون في ترتيب أسفار العهد القديم التي تبلغ تسعة وثلاثين سفراً، ويتكون من أربعة عشر إصحاحاً، ويتكون السفر بشكل عام من جزئين:

الأول: من الإصحاح الأول إلى الإصحاح الثامن، حيث توحي هذه الإصحاحات بالفترة الزمنية للقرن السادس قبل الميلاد.

والجزء الثاني: من الإصحاح التاسع وحتى الرابع عشر، ويوحي بأن له علاقة بالفترة اليونانية الهيلينية التي أعقبت فترة السبي البابلي بداية القرن الرابع قبل الميلاد.[٣]

---

(١) المسيري – د. عبد الوهاب – موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية – ط ١ – ١٩٦٨ – دار الشروق – القاهرة – ج ٥ – ص ٤٢٣. بتصرف

(٢) المرجع السابق – ج ٥ – ص ٤٢٤.
وانظر – مزنر – فؤاد حسين – أطماع اليهود – ط ١٩٨٧ – دار الكتب الثقافية – بيروت – ص ٣٧.

(٣) انظر – المدرس و الساموك – د. علي سري و د سعدون – العهد القديم دراسة نقدية – ط ١ – ٢٠٠٧ – الأكاديميون للنشر والتوزيع – عمان – الأردن – ص ٣١١.

«وهو ضمن مجموعة تسمى أسفار الأنبياء الإثنا عشر، أو أسفار الأنبياء الصغار، إلا أنه يعد سفراً موسعاً بعض الشيء بالنسبة لها»،[١] «ويحتل سفر زكريا أهميةً بالغةً في الفكرين اليهودي والمسيحي، حيث يعتقد اليهود أنه يمثل نبوءة قوية بانتصار اليهود على أمم الأرض في آخر الزمان، ويعتقد المسيحيون أنه يحتل المكانة الثانية بعد سفر إشعيا في التنبؤ بالعصر المسياني الذي يعود فيه المسيح إلى الأرض وتنتصر الأمة المسيحية على غيرها من الأمم».[٢]

وقد وقع اختلاف بين الباحثين في نسبة كتابة السفر لزكريا وتاريخ تدوينه وعلاقة أجزائه بعضها ببعضها الآخر، وحول ثبوت بعض نصوصه من عدم ثبوتها، والاختلاف الأكبر الذي وقع حول هذا السفر كان في تفسيره وتفسير نبوءاته والرؤى التي تضمنها بين الاتجاهات الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلامية.

وينسب هذا السفر لنبي من أنبياء بني إسرائيل اسمه زكريا بن برخيا بن عدو[٣] وكان من ضمن العائدين من السبي البابلي، وقد تنبأ في الفترة الواقعة بين ٥٢٠ ق. م و ٥١٨ ق. م وركز على إعادة بناء الهيكل بعد فتور بني إسرائيل عن بنائه مدة خمسة عشر عاماً.[٤]

وقد وقع هذا السفر في ترتيب العهد القديم بين سفري حجي وملاخي السفر الأخير من أسفار العهد القديم، وقد اتفق معهما في المحاور الكبرى التي جاءت نبوءتهما لتثبيتها، وهي محبة الرب لشعبه وضرورة بناء الهيكل والحديث عن مستقبل إسرائيل.

وقد حمل هذا السفر طابعاً خاصاً بين أسفار الأنبياء، وهو أن كاتبه أسند بطريق

---

(١) طعيمه – د. صابر – التراث الإسرائيلي وموقف القرآن منه – ط ١٩٧٩م – دار الجيل – بيروت – ص٢٥٧.

(٢) فهمي – القس انطونيوس – موسوعة الكتاب المقدس – تفسير سفر زكريا.

(٣) تجدر الملاحظة هنا إلى أن هذا السفر لا ينسب لزكريا أبو يحيى عليهما السلام، وليس هناك أدنى دليل على نسبته له كما ظن خطأً بعض الباحثين.

(٤) انظر – موسوعة الكتاب المقدس – تفسير سفر زكريا – لعدد من الباحثين تحت هذا العنوان.

مباشر أغلب نصوصه وتنبؤاته ورؤاه إلى حديث دار بين زكريا وملاك الرب، في الوقت الذي تعمي فيه أسفار الأنبياء على دور الملائكة في الرسالات النبوية، وتقلل فيه من إسناد نصوصها ونبوءاتها إليهم.

ولأن النبي أو – كاتب السفر – استخدم الأسلوب الرؤوي، أطلق بعضهم على هذا السفر اسم «رؤيا العهد القديم»، وتتميز إعلاناته النبوية بالبلاغة والإيجاز حتى ليسمي «موجز الأنبياء». ويتنوع أسلوبه من رؤى نبوية إلى صور رمزية إلى إعلانات مباشرة.[١]

ولقد عبَّر الكثيرون من العلماء– قديماً وحديثاً– عن صعوبة تفسير هذا السفر بسبب ما يحوطه من غموض، فذكر بعض المفسرين اليهود أنهم لا يستطيعون سبر غور الرؤى والنبوات التي يشملها هذا السفر. وهو في لحمته وسداه يُعَدُّ سفراً مسيانياً.[٢]

ورغم أنه ليس من السهل تفسير كل ما جاء في السفر، إلا أن هذا لا يقلل من أهميته، فيقول مارتن لوثر عنه: إنه «خلاصة أو موجز الأنبياء» فما يحويه من نبوات عن المسيا أكثر مما يتناسب مع حجمه، فلا يفوقه في كثرة النبوات عن المسيا ووضوحها سوى سفر إشعياء».[٣]

الفصل الأول

مراحل اليوم الآخر الأولى في نبوءات سفر زكريا

المرحلة الأولى: رجوع الرب إلى اليهود وإلى أورشليم

لقد جعل كاتب سفر زكريا نقطة البداية في اليوم الآخر والمرحلة الأولى فيه بأن

(١) خادم المسيح – تفسير القس خادم المسيح – موسوعة الكتاب المقدس– تفسير الكتاب المقدس تفسير سفر زكريا.
(٢) المرجع السابق .
(٣) المرجع السابق.

يقرر الرب الرجوع إلى اليهود وإلى أورشليم، وكأن الكاتب يصور أن الرب قد ابتعد عن شعبه؛ لأنهم ابتعدوا عنه ولم يطيعوا وصاياه، وهذه المرحلة جاءت في النبوءة الأولى من هذا السفر وفي الإصحاح الأول منه، فقال الكاتب: (١في الشَّهْرِ الثَّامِنِ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِدَارِيُوسَ، كَانَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ إِلَى زَكَرِيَّا بْنِ بَرَخِيَّا بْنِ عِدُّو النَّبِيِّ قَائِلاً: ٢«قَدْ غَضِبَ الرَّبُّ غَضَبًا عَلَى آبَائِكُمْ. ٣فَقُلْ لَهُمْ: هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: ارْجِعُوا إِلَيَّ، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ، فَأَرْجِعَ إِلَيْكُمْ، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ. ٤لاَ تَكُونُوا كَآبَائِكُمُ الَّذِينَ نَادَاهُمُ الأَنْبِيَاءُ الأَوَّلُونَ قَائِلِينَ: هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: ارْجِعُوا عَنْ طُرُقِكُمُ الشِّرِّيرَةِ، وَعَنْ أَعْمَالِكُمُ الشِّرِّيرَةِ، فَلَمْ يَسْمَعُوا وَلَمْ يُصْغُوا إِلَيَّ، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ. ٥آبَاؤُكُمْ أَيْنَ هُمْ؟ وَالأَنْبِيَاءُ هَلْ أَبَدًا يَحْيَوْنَ؟ ٦وَلكِنْ كَلاَمِي وَفَرَائِضِي الَّتِي أَوْصَيْتُ بِهَا عَبِيدِي الأَنْبِيَاءَ، أَفَلَمْ تُدْرِكْ آبَاءَكُمْ؟ فَرَجَعُوا وَقَالُوا: كَمَا قَصَدَ رَبُّ الْجُنُودِ أَنْ يَصْنَعَ بِنَا كَطُرُقِنَا وَكَأَعْمَالِنَا، كَذلِكَ فَعَلَ بِنَا).[1] وقال أيضاً في نفس الإصحاح الأول: (٤ ١فَقَالَ لِي الْمَلاَكُ الَّذِي كَلَّمَنِي: «نَادِ قَائِلاً: هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: غِرْتُ عَلَى أُورُشَلِيمَ وَعَلَى صِهْيَوْنَ غَيْرَةً عَظِيمَةً. ٥ ١وَأَنَا مُغْضَبٌ بِغَضَبٍ عَظِيمٍ عَلَى الأُمَمِ الْمُطْمَئِنِّينَ. لأَنِّي غَضِبْتُ قَلِيلاً وَهُمْ أَعَانُوا الشَّرَّ. ٦ ١لذلِكَ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ بِالْمَرَاحِمِ، فَبَيْتِي يُبْنَى فِيهَا، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ، وَيُمَدُّ الْمِطْمَارُ عَلَى أُورُشَلِيمَ).[2]

ونجد أن النص الأول وضع قضية رجوع اليهود للرب بالطاعة والعبادة شرطاً لرجوع الرب لهم، بينما نجد أن النص الثاني والثالث في الإصحاح الثامن[3] يجعلان قضية الرجوع وكأنها أمراً واقعياً حتمياً قبل تحقق الشرط، وهذا الأمر يدل على اعتماد الفكر اليهودي، على قضية رجوع الرب لبني إسرائيل، بغض النظر عن حالهم من الصلاح أو غيره.

(١) سفر زكريا ١: ١ – ٦.
(٢) زكريا ١: ١٤ – ١٦.
(٣) انظر زكريا ٨: ١ – ٣.

المرحلة الثانية: بناء الهيكل وسكن الرب فيه

تحدث كاتب سفر زكريا عن هذه المرحلة في عدد من نبوءاته وتوحي نصوص السفر بأن بناء هيكل الرب أو بيت الرب في أورشليم هو الأمر الذي سيقوم به الرب مباشرة بعد الرجوع إلى اليهود وإلى أورشليم بل إن عدداً من النصوص أشارت إلى أن السبب في انتصار الرب لليهود ولأورشليم هو ابناءه الهيكل فيها، فقال كاتب سفر زكريا في الإصحاح الأول: (١٦لذلك هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ بِالْمَرَاحِمِ، فَبَيْتِي يُبْنَى فِيهَا، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ، وَيُمَدُّ الْمِطْمَار [1] عَلَى أُورُشَلِيم) [2]، وكأن الكاتب يشير إلى أن سبب رحمة الرب بأورشليم أن بيته سيبنى فيها.

ثم قال في نص آخر يثبت فيه قضيتين، وهما: بناء الهيكل من جهة، وسكن الرب فيه من جهة أخرى، وفي وسط أورشليم: (١٠ تَرَنَّمِي وَافْرَحِي يَا بِنْتَ صِهْيَوْنَ، لأَنِّي هأَنَذَا آتِي وَأَسْكُنُ فِي وَسَطِكِ، يَقُولُ الرَّبُّ. ١١فَيَتَّصِلُ أُمَمٌ كَثِيرَةٌ بِالرَّبِّ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، وَيَكُونُونَ لِي شَعْبًا، فَأَسْكُنُ فِي وَسَطِكِ، فَتَعْلَمِينَ أَنَّ رَبَّ الْجُنُودِ قَدْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكِ. ١٢وَالرَّبُّ يَرِثُ يَهُوذَا نَصِيبَهُ فِي الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، وَيَخْتَارُ أُورُشَلِيمَ بَعْدُ. ١٣اُسْكُتُوا يَا كُلَّ الْبَشَرِ قُدَّامَ الرَّبِّ؛ لأَنَّهُ قَدِ اسْتَيْقَظَ مِنْ مَسْكَنِ قُدْسِه). [3]

فجعل الكاتب المرحلة الأولى لليوم الآخر هي: حتمية رجوع الرب لبني إسرائيل بعد أن ساد اعتقاد لدى جماعة إسرائيل أن الرب كان معهم، مرافقا لهم منذ خروجهم من مصر بقيادة موسى – عليه السلام – حيث يصور سفر الخروج الرب حالّاً في غمامة كانت تعلو جماعة إسرائيل وترافقهم في كل مكان ارتحلوا إليه، وبقي معهم بصورة تجسيدية إلى أن تم بناء هيكل سليمان فسكن الرب فيه، بل إن سفر الملوك الأول يشير إلى أن الرب طلب من داود – عليه السلام – أن يعد لبناء هيكل الرب؛ ليكون مكانا لسكنه وسط جماعة إسرائيل، إلى أن تم بناؤه في عهد سليمان – عليه السلام – وسكن

(١) المطمار هو حبل كان يستخدم لقياس طول الأرض.
(٢) زكريا ١: ١٦.
(٣) زكريا ٢: ١٠ – ١٣. وهناك نص آخر في ٨: ١ – ٣.

الرب فيه في مكان أعد له خصيصاً يسمى «قدس الأقداس».

ثم يشير سفر الملوك الثاني إلى أن الرب غضب غضباً شديداً على كل جماعة بني إسرائيل بسبب انقسامهم إلى دولتين بعد موت سليمان – عليه السلام – وأشرك ملوك الدولتين بالله، وعبدوا آلهة الأمم الأخرى وأصنامهم هم وجماعة بني إسرائيل؛ مما أدى إلى ترك الرب لجماعة بني إسرائيل مغادراً إلى السماء من الأرض التي هي السكن الأصلي له، وترك نصرة شعبه المختار، وأتاح للأمم قتلهم وسبيهم وتشريدهم وهدم هيكلهم.

فجاء كاتب سفر زكريا – هنا – ليؤكد لجماعة بني إسرائيل أن الرب مثلما تركهم لابد وأن يعود لهم في يوم من الأيام، وجعل هذه العودة أول مراحل اليوم الآخر، وجعل ثانيها سكن الرب في هيكل أورشليم بعد بنائه كسابق عهده.

المرحلة الثالثة: مجيء المسيح المخلص

بعد أن جعل كاتب سفر زكريا المرحلة الأولى لليوم الآخر حتمية رجوع الرب لبني إسرائيل، وجعل المرحلة الثانية سكن الرب في هيكل أورشليم، جعل المرحلة الثالثة هي مجيء المسيح المخلص الذي سيقود جيشاً عظيماً يجعل فيه الأرض كلها وكل شعوبها تحت إمرة اليهود وسلطتهم.

فقد تحدث كاتب سفر زكريا عن المسيح وقدومه بعدد من النصوص في هذا السفر وصوره بداية في رؤيا رآها زكريا بأنه رجل راكب على فرس أحمر يقود جيشاً يجول فيه الأرض كلها، فقال: (٧فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ الْحَادِي عَشَرَ، هُوَ شَهْرُ شَبَاطَ. فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِدَارِيُوسَ، كَانَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ إِلَى زَكَرِيَّا بْنِ بَرَخِيَّا بْنِ عِدُّو النَّبِيِّ قَائِلاً: ٨رَأَيْتُ فِي اللَّيْلِ وَإِذَا بِرَجُلٍ رَاكِبٍ عَلَى فَرَسٍ أَحْمَرَ، وَهُوَ وَاقِفٌ بَيْنَ الآسِ الَّذِي فِي الظِّلِّ، وَخَلْفَهُ خَيْلٌ حُمْرٌ وَشُقْرٌ وَشُهْبٌ. ٩فَقُلْتُ: «يَا سَيِّدِي، مَا هؤُلاَءِ؟» فَقَالَ لِي الْمَلاَكُ الَّذِي كَلَّمَنِي: «أَنَا أُرِيكَ مَا هؤُلاَءِ». ١٠فَأَجَابَ الرَّجُلُ الْوَاقِفُ بَيْنَ الآسِ وَقَالَ: «هؤُلاَءِ هُمُ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ الرَّبُّ لِلْجَوَلاَنِ فِي الأَرْضِ». ١١فَأَجَابُوا مَلاَكَ الرَّبِّ الْوَاقِفِ

بَيْنَ الآسِ وَقَالُوا: «قَدْ جُلْنَا فِي الأَرْضِ، وَإِذَا الأَرْضُ كُلُّهَا مُسْتَرِيحَةٌ وَسَاكِنَةٌ). [1]

ثم تحدث عنه في الإصحاح الثالث ووصفه بالغصن فقال: (٨فَاسْمَعْ يَا يَهُوشَعُ الْكَاهِنُ الْعَظِيمُ أَنْتَ وَرُفَقَاؤُكَ الْجَالِسُونَ أَمَامَكَ، لأَنَّهُمْ رِجَالُ آيَةٍ، لأَنِّي هأَنَذَا آتِي بِعَبْدِي «الْغُصْنِ». ٩فَهُوَذَا الْحَجَرُ الَّذِي وَضَعْتُهُ قُدَّامَ يَهُوشَعَ عَلَى حَجَرٍ وَاحِدٍ سَبْعُ أَعْيُنٍ. هأَنَذَا نَاقِشٌ نَقْشَهُ، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ، وَأُزِيلُ إِثْمَ تِلْكَ الأَرْضِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ. ١٠فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ، يُنَادِي كُلُّ إِنْسَانٍ قَرِيبَهُ تَحْتَ الْكَرْمَةِ وَتَحْتَ التِّينَةِ). [2]

ثم تحدث عن مجيئه في الإصحاح الرابع ووصفه هنا بحجر الزاوية فقال (٧مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الْجَبَلُ الْعَظِيمُ؟ أَمَامَ زَرُبَّابِلَ تَصِيرُ سَهْلاً! فَيُخْرِجُ حَجَرَ الزَّاوِيَةِ بَيْنَ الْهَاتِفِينَ: كَرَامَةً، كَرَامَةً لَهُ). [3]

ثم تحدث عنه في نهاية هذا الإصحاح ووصفه بأنه سيد الأرض كلها، فقال (١٣فَأَجَابَنِي قَائِلاً: «أَمَا تَعْلَمُ مَا هَاتَانِ؟» فَقُلْتُ: «لاَ يَا سَيِّدِي». ١٤فَقَالَ: «هَاتَانِ هُمَا ابْنَا الزَّيْتِ الْوَاقِفَانِ عِنْدَ سَيِّدِ الأَرْضِ كُلِّهَا). [4]

وتحدث عنه في آخر نص في الإصحاح التاسع ووصفه بأنه الملك فقال (٩ابْتَهِجِي جِدًّا يَا ابْنَةَ صِهْيَوْنَ، اهْتِفِي يَا بِنْتَ أُورُشَلِيمَ، هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِي إِلَيْكِ. هُوَ عَادِلٌ وَمَنْصُورٌ وَدِيعٌ، وَرَاكِبٌ عَلَى حِمَارٍ وَعَلَى جَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ. ١٠وَأَقْطَعُ الْمَرْكَبَةَ مِنْ أَفْرَايِمَ وَالْفَرَسَ مِنْ أُورُشَلِيمَ وَتُقْطَعُ قَوْسُ الْحَرْبِ. وَيَتَكَلَّمُ بِالسَّلاَمِ لِلأُمَمِ، وَسُلْطَانُهُ مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْبَحْرِ، وَمِنَ النَّهْرِ إِلَى أَقَاصِي الأَرْضِ. ١١وَأَنْتِ أَيْضًا فَإِنِّي بِدَمِ عَهْدِكِ قَدْ أَطْلَقْتُ أَسْرَاكِ مِنَ الْجُبِّ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ مَاءٌ. ١٢ارْجِعُوا إِلَى الْحِصْنِ يَا أَسْرَى الرَّجَاءِ، الْيَوْمَ أَيْضًا أُصَرِّحُ أَنِّي أَرُدُّ عَلَيْكِ ضِعْفَيْنِ). [5]

---

(١) زكريا ١: ٧ – ١١.
(٢) زكريا ٣: ٨.
(٣) زكريا ٤: ٧.
(٤) زكريا ٤: ١٣.
(٥) زكريا ٩: ٩ – ١٢.

المرحلتان الرابعة والخامسة: «خروج جيش لقتال الأمم» و «معاقبة أعداء اليهود والانتصار على كل الأمم»

إن كاتب سفر زكريا يحدد الهدف الذي من أجله يأتي المسيح المخلص بعد عودة الرب لبني إسرائيل وسكنه في هيكل أورشليم، وهو: قيادة جيش عظيم ومحاربة جميع أمم الأرض ومعاقبة أعداء اليهود والانتصار عليهم وإخضاعهم لحكم اليهود، ونجده أحياناً ينسب قيادة الجيش للمسيح، ومرة للرب نفسه، فذكر في الإصحاح الأول الرجل الراكب على فرس أحمر وخلفه عدد كبير من الخيل فقال: (٨رَأَيْتُ فِي اللَّيْلِ وَإِذَا بِرَجُل رَاكِبٍ عَلَى فَرَسٍ أَحْمَرَ، وَهُوَ وَاقِفٌ بَيْنَ الآسِ الَّذِي فِي الظِّلِّ، وَخَلْفَهُ خَيْلٌ حُمْرٌ وَشُقْرٌ وَشُهْبٌ. ٩فَقُلْتُ: «يَا سَيِّدِي، مَا هؤُلاَءِ؟» فَقَالَ لِي الْمَلاَكُ الَّذِي كَلَّمَنِي: «أَنَا أُرِيكَ مَا هؤُلاَءِ». ١٠فَأَجَابَ الرَّجُلُ الْوَاقِفُ بَيْنَ الآسِ وَقَالَ: «هؤُلاَءِ هُمُ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ الرَّبُّ لِلْجَوَلاَنِ فِي الأَرْضِ». ١١فَأَجَابُوا مَلاَكَ الرَّبِّ الْوَاقِفِ بَيْنَ الآسِ وَقَالُوا: «قَدْ جُلْنَا فِي الأَرْضِ، وَإِذَا الأَرْضُ كُلُّهَا مُسْتَرِيحَةٌ وَسَاكِنَة).[1] فهذا النص يشير إلى المسيح المخلص عندما يقود جيشاً كبيراً يرسله الرب ليجول الأرض كلها بجيشه؛ ليحارب كل الأمم، ثم يجعل الأرض مستريحة وساكنة بعد أن تخضع لحكم اليهود كما تشير إليه النصوص الآتية.

ثم يعطف عليه النبوءة الثانية في آخر هذا الإصحاح «الأول» فيقول: (١٨فَرَفَعْتُ عَيْنَيَّ وَنَظَرْتُ، وَإِذَا بِأَرْبَعَةِ قُرُونٍ. ١٩فَقُلْتُ لِلْمَلاَكِ الَّذِي كَلَّمَنِي: «مَا هذِهِ؟» فَقَالَ لِي: «هذِهِ هِيَ الْقُرُونُ الَّتِي بَدَّدَتْ يَهُوذَا وَإِسْرَائِيلَ وَأُورُشَلِيمَ». ٢٠فَأَرَانِي الرَّبُّ أَرْبَعَةَ صُنَّاعٍ. ٢١فَقُلْتُ: «جَاءَ هؤُلاَءِ، مَاذَا يَفْعَلُونَ؟» فَأَجَابَ: «هذِهِ هِيَ الْقُرُونُ الَّتِي بَدَّدَتْ يَهُوذَا حَتَّى لَمْ يَرْفَعْ إِنْسَانٌ رَأْسَهُ. وَقَدْ جَاءَ هؤُلاَءِ لِيُرْعِبُوهُمْ وَلِيَطْرُدُوا قُرُونَ الأُمَمِ الرَّافِعِينَ قَرْنًا عَلَى أَرْضِ يَهُوذَا لِتَبْدِيدِهَا).[2]

---

(١) زكريا ١: ١٨ – ٢١.
(٢) زكريا ٦: ١ – ٨.

وهذه النبوءة تشير إلى أن هذا الجيش سيقاتل أربعة أمم كبيرة شبهها بالقرون كانت قد آذت شعب يهوذا، وهم: العراقيون من الآشوريين والبابليين، والمصريين الفراعنة، واليونانيين الإغريق، والرومان، وكأن النص يشير إلى أن الدول التي سيحاربها المسيح بجيشه في المستقبل ستبدأ بالعراق والدول المجاورة لها، كسوريا ولبنان، ثم تنتقل إلى مصر، ومنها ستنتقل الحرب إلى دول أوروبا كلها، كما سيتضح فيما بعد.

وهذا ما أكده الكاتب في الإصحاح السادس الذي يشير إلى أن هذا الجيش يتكون من أربعة جيوش، وذكر الأماكن التي ستحاربها هذه الجيوش الأربعة فقال: (١فَعُدْتُ وَرَفَعْتُ عَيْنَيَّ وَنَظَرْتُ وَإِذَا بِأَرْبَعِ مَرْكَبَاتٍ خَارِجَاتٍ مِنْ بَيْنِ جَبَلَيْنِ، وَالْجَبَلاَنِ جَبَلاَ نُحَاسٍ. ٢فِي الْمَرْكَبَةِ الأُولَى خَيْلٌ حُمْرٌ، وَفِي الْمَرْكَبَةِ الثَّانِيَةِ خَيْلٌ دُهْمٌ، ٣وَفِي الْمَرْكَبَةِ الثَّالِثَةِ خَيْلٌ شُهْبٌ، وَفِي الْمَرْكَبَةِ الرَّابِعَةِ خَيْلٌ مُنَمَّرَةٌ شُقْرٌ. ٤فَأَجَبْتُ وَقُلْتُ لِلْمَلاَكِ الَّذِي كَلَّمَنِي: «مَا هذه يَا سَيِّدِي؟» ٥فَأَجَابَ الْمَلاَكُ وَقَالَ لِي: «هذه هِيَ أَرْوَاحُ السَّمَاءِ الأَرْبَعُ خَارِجَةٌ مِنَ الْوُقُوفِ لَدَى سَيِّدِ الأَرْضِ كُلِّهَا. ٦الَّتِي فِيهَا الْخَيْلُ الدُّهْمُ تَخْرُجُ إِلَى أَرْضِ الشِّمَالِ، وَالشُّهْبُ خَارِجَةٌ وَرَاءَهَا، وَالْمُنَمَّرَةُ تَخْرُجُ نَحْوَ أَرْضِ الْجَنُوبِ». ٧أَمَّا الشُّقْرُ فَخَرَجَتْ وَالْتَمَسَتْ أَنْ تَذْهَبَ لِتَتَمَشَّى فِي الأَرْضِ، فَقَالَ: «اذْهَبِي وَتَمَشَّيْ فِي الأَرْضِ». فَتَمَشَّتْ فِي الأَرْضِ. ٨فَصَرَخَ عَلَيَّ وَكَلَّمَنِي قَائِلاً: «هُوَذَا الْخَارِجُونَ إِلَى أَرْضِ الشِّمَالِ، قَدْ سَكَّنُوا رُوحِي فِي أَرْضِ الشِّمَالِ).[1]

فالنبوءة تشير إلى أن جيشين سيحاربان أرض الشمال، وهي: سوريا، والعراق بالنسبة لأورشليم – مكان النبوءة ومركزية السفر ومركزية نبوءته –، وجيش سيحارب أرض الجنوب، وهي: مصر بالنسبة لأورشليم، والجيش الثالث سيخرج ليحارب كل ممالك الأرض وأممها.

وأكد هذا الأمر في الإصحاح الثامن عندما قال: (هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: هأَنَذَا أُخَلِّصُ شَعْبِي مِنْ أَرْضِ الْمَشْرِقِ وَمِنْ أَرْضِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ. ٨وَآتِي بِهِمْ فَيَسْكُنُونَ فِي وَسَطِ

(١) زكريا ٦: ١-٨.

أُورُشَلِيمَ، وَيَكُونُونَ لِي شَعْبًا، وَأَنَا أَكُونُ لَهُمْ إِلهًا بِالْحَقِّ وَالْبِرِّ). [1]

وأرض المشرق هي سوريا والعراق ومصر، وأرض مغرب الشمس هي دول أوروبا.[2]

ثم بدأ يفصح في الإصحاح التاسع عن المدن التي سيحاربها جيش المسيح وماذا سيحل بها فقال: (١وَحْيُ كَلِمَةِ الرَّبِّ فِي أَرْضِ حَدْرَاخَ وَدِمَشْقَ مَحَلُّهُ. لأَنَّ لِلرَّبِّ عَيْنَ الإِنْسَانِ وَكُلَّ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ. ٢وَحَمَاةُ أَيْضًا تُتَاخِمُهَا، وَصُورُ وَصَيْدُونُ وَإِنْ تَكُنْ حَكِيمَةً جِدًّا. ٣وَقَدْ بَنَتْ صُورُ حِصْنًا لِنَفْسِهَا، وَكَوَّمَتِ الْفِضَّةَ كَالتُّرَابِ وَالذَّهَبَ كَطِينِ الأَسْوَاقِ. ٤هُوَذَا السَّيِّدُ يَمْتَلِكُهَا، وَيَضْرِبُ فِي الْبَحْرِ قُوَّتَهَا، وَهِيَ تُؤْكَلُ بِالنَّارِ. ٥تَرَى أَشْقَلُونُ فَتَخَافُ، وَغَزَّةُ فَتَتَوَجَّعُ جِدًّا، وَعَقْرُونُ؛ لأَنَّهُ يُخْزِيهَا انْتِظَارُهَا، وَالْمَلِكُ يَبِيدُ مِنْ غَزَّةَ، وَأَشْقَلُونُ لاَ تُسْكَنُ. ٦وَيَسْكُنُ فِي أَشْدُودَ زَنِيمٌ، وَأَقْطَعُ كِبْرِيَاءَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ. ٧وَأَنْزِعُ دِمَاءَهُ مِنْ فَمِهِ، وَرِجْسَهُ مِنْ بَيْنِ أَسْنَانِهِ، فَيَبْقَى هُوَ أَيْضًا لإِلهِنَا، وَيَكُونُ كَأَمِيرٍ فِي يَهُوذَا، وَعَقْرُونُ كَيَبُوسِيٍّ. ٨ وَأَحُلُّ حَوْلَ بَيْتِي بِسَبَبِ الْجَيْشِ الذَّاهِبِ وَالآئِبِ، فَلاَ يَعْبُرُ عَلَيْهِمْ بَعْدُ جَابِي الْجِزْيَةِ، فَإِنِّي الآنَ رَأَيْتُ بِعَيْنَيَّ). [3]

وهنا يتحدث عن بداية الحرب التي ستقع في مدن سوريا ولبنان وفلسطين بالذات وكيف أن الرب سيدمرها وينتقم لشعبه بالجيش الذي سيقوده المسيح، والذي ستكون نهاية أمره تمكن الرب من الحلول في بيته في أورشليم.

ثم يتحدث في آخر هذا الإصحاح عن فعل الرب في هذا الجيش، ويشير الكاتب هنا إلى أن الرب هو الذي سيحمي هذا الجيش بنفسه، وسيكون معهم بقدرته فيقول: (١٤وَيُرَى الرَّبُّ فَوْقَهُمْ، وَسَهْمُهُ يَخْرُجُ كَالْبَرْقِ، وَالسَّيِّدُ الرَّبُّ يَنْفُخُ فِي الْبُوقِ، وَيَسِيرُ فِي زَوَابِعِ الْجَنُوبِ. ١٥رَبُّ الْجُنُودِ يُحَامِي عَنْهُمْ فَيَأْكُلُونَ وَيَدُوسُونَ حِجَارَةَ الْمِقْلاَعِ، وَيَشْرَبُونَ

---

(١) راجع كتاب – علي – علي عبد الجليل علي – الحرب على العراق رؤية توراتية يهودية – ط ١ – ٢٠٠٤ – دار أسامة – عمان.

(٢) زكريا ٩: ١ – ٨.

(٣) زكريا ٩: ١٤ – ١٧.

وَيَضُجُّونَ كَمَا مِنَ الْخَمْرِ، وَيَمْتَلِئُونَ كَالْمَنْضَحِ وَكَزَوَايَا الْمَذْبَحِ. ١٦وَيُخَلِّصُهُمُ الرَّبُّ إِلهُهُمْ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ. كَقَطِيعِ شَعْبَهُ، بَلْ كَحِجَارَةِ التَّاجِ مَرْفُوعَةً عَلَى أَرْضِهِ. ١٧مَا أَجْوَدَهُ وَمَا أَجْمَلَهُ! اَلْحِنْطَةُ تُنْمِي الْفِتْيَانَ، وَالْمِسْطَارُ الْعَذَارَى).[1]

ويؤكد الكاتب معونة الرب لهذا الجيش في النص الذي يأتي بعده في الإصحاح العاشر وبداية الحادي عشر، ويؤكد خراب ودمار العراق ومصر ولبنان والأردن، فيقول: (١اُطْلُبُوا مِنَ الرَّبِّ الْمَطَرَ فِي أَوَانِ الْمَطَرِ الْمُتَأَخِّرِ، فَيَصْنَعَ الرَّبُّ بُرُوقًا، وَيُعْطِيَهُمْ مَطَرَ الْوَبْلِ. لِكُلِّ إِنْسَانٍ عُشْبًا فِي الْحَقْلِ. ٢لأَنَّ التَّرَافِيمَ قَدْ تَكَلَّمُوا بِالْبَاطِلِ، وَالْعَرَّافُونَ رَأَوْا الْكَذِبَ وَأَخْبَرُوا بِأَحْلاَمٍ كَذِبٍ. يُعَزُّونَ بِالْبَاطِلِ؛ لِذلِكَ رَحَلُوا كَغَنَمٍ. ذَلُّوا إِذْ لَيْسَ رَاعٍ. ٣«عَلَى الرُّعَاةِ، اشْتَعَلَ غَضَبِي فَعَاقَبْتُ الأَعْتِدَةَ؛ لأَنَّ رَبَّ الْجُنُودِ قَدْ تَعَهَّدَ قَطِيعَهُ بَيْتَ يَهُوذَا، وَجَعَلَهُمْ كَفَرَسِ جَلاَلِهِ فِي الْقِتَالِ. ٤مِنْهُ الزَّاوِيَةُ. مِنْهُ الْوَتَدُ. مِنْهُ قَوْسُ الْقِتَالِ. مِنْهُ يَخْرُجُ كُلُّ ظَالِمٍ جَمِيعًا. ٥وَيَكُونُونَ كَالْجَبَابِرَةِ الدَّائِسِينَ طِينَ الأَسْوَاقِ فِي الْقِتَالِ، وَيُحَارِبُونَ لأَنَّ الرَّبَّ مَعَهُمْ، وَالرَّاكِبُونَ الْخَيْلَ يَخْزَوْنَ. ٦وَأُقَوِّي بَيْتَ يَهُوذَا، وَأُخَلِّصُ بَيْتَ يُوسُفَ وَأُرَجِّعُهُمْ؛ لأَنِّي قَدْ رَحِمْتُهُمْ. وَيَكُونُونَ كَأَنِّي لَمْ أَرْفُضْهُمْ؛ لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُهُمْ فَأُجِيبُهُمْ. ٧وَيَكُونُ أَفْرَايِمُ كَجَبَّارٍ، وَيَفْرَحُ قَلْبُهُمْ كَأَنَّهُ بِالْخَمْرِ، وَيَنْظُرُ بَنُوهُمْ فَيَفْرَحُونَ وَيَبْتَهِجُ قَلْبُهُمْ بِالرَّبِّ. ٨أَصْفِرُ لَهُمْ وَأَجْمَعُهُمْ لأَنِّي قَدْ فَدَيْتُهُمْ، وَيَكْثُرُونَ كَمَا كَثُرُوا. ٩وَأَزْرَعُهُمْ بَيْنَ الشُّعُوبِ فَيَذْكُرُونَنِي فِي الأَرَاضِي الْبَعِيدَةِ، وَيَحْيَوْنَ مَعَ بَنِيهِمْ وَيَرْجِعُونَ. ١٠وَأُرْجِعُهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، وَأَجْمَعُهُمْ مِنْ أَشُّورَ، وَآتِي بِهِمْ إِلَى أَرْضِ جِلْعَادَ وَلُبْنَانَ، وَلاَ يُوجَدُ لَهُمْ مَكَانٌ. ١١وَيَعْبُرُ فِي بَحْرِ الضِّيقِ، وَيَضْرِبُ اللُّجَجَ فِي الْبَحْرِ، وَتَجِفُّ كُلُّ أَعْمَاقِ النَّهْرِ، وَتُخْفَضُ كِبْرِيَاءُ أَشُّورَ، وَيَزُولُ قَضِيبُ مِصْرَ. ١٢وَأُقَوِّيهِمْ بِالرَّبِّ، فَيَسْلُكُونَ بِاسْمِهِ، يَقُولُ الرَّبُّ).[2]

ويقول في بداية الإصحاح الحادي عشر: (١افْتَحْ أَبْوَابَكَ يَا لُبْنَانُ، فَتَأْكُلَ النَّارُ أَرْزَكَ. ٢وَلْوِلْ يَا سَرْوُ، لأَنَّ الأَرْزَ سَقَطَ، لأَنَّ الأَعِزَّاءَ قَدْ خَرِبُوا. وَلْوِلْ يَا بَلُّوطَ بَاشَانَ، لأَنَّ

(١) زكريا ١٠: ١ – ١٢.
(٢) زكريا ١١: ١.

الْوَعْرَ الْمَنِيعَ قَدْ هَبَطَ. ٣صَوْتُ وَلْوَلَةِ الرُّعَاةِ، لأَنَّ فَخْرَهُمْ خَرِبَ. صَوْتُ زَمْجَرَةِ الأَشْبَالِ، لأَنَّ كِبْرِيَاءَ الأُرْدُنِّ خَرِبَتْ).[١]

ثم يتحدث كاتب سفر زكريا عن بعض الأحداث التي ستقع في هذه الحرب، وأن الأمم سيجتمعون على أورشليم ويضربون عليها حصاراً ويقتلون عدداً من شعب يهوذا، إلا أن الرب يعود وينتصر لبني إسرائيل ويتغلب جيش المسيح على هذه الأمم، وسأجتزئ نصاً صغيراً مما ورد في الإصحاح الثاني عشر الذي يعد نقطة تحول في حديثه عن هذه الحرب فقال: (٢هأَنَذَا أَجْعَلُ أُورُشَلِيمَ كَأْسَ تَرَنُّحٍ لِجَمِيعِ الشُّعُوبِ حَوْلَهَا، وَأَيْضًا عَلَى يَهُوذَا تَكُونُ فِي حِصَارِ أُورُشَلِيمَ. ٣وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَنِّي أَجْعَلُ أُورُشَلِيمَ حَجَرًا مِشْوَالاً لِجَمِيعِ الشُّعُوبِ، وَكُلُّ الَّذِينَ يَشِيلُونَهُ يَنْشَقُّونَ شَقًّا. وَيَجْتَمِعُ عَلَيْهَا كُلُّ أُمَمِ الأَرْضِ. ٤فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، يَقُولُ الرَّبُّ، أَضْرِبُ كُلَّ فَرَسٍ بِالْحَيْرَةِ وَرَاكِبَهُ بِالْجُنُونِ. وَأَفْتَحُ عَيْنَيَّ عَلَى بَيْتِ يَهُوذَا، وَأَضْرِبُ كُلَّ خَيْلِ الشُّعُوبِ بِالْعَمَى. ٥فَتَقُولُ أُمَرَاءُ يَهُوذَا فِي قَلْبِهِمْ: إِنَّ سُكَّانَ أُورُشَلِيمَ قُوَّةٌ لِي بِرَبِّ الْجُنُودِ إِلهِهِمْ).[٢]

إلى أن يصل إلى الإصحاح الرابع عشر ويتحدث بأقوى نص عن الانتقام الذي سيحدثه الرب من كل الأمم التي عادت اليهود فيقول: (١٢وَهذِهِ تَكُونُ الضَّرْبَةُ الَّتِي يَضْرِبُ بِهَا الرَّبُّ كُلَّ الشُّعُوبِ الَّذِينَ تَجَنَّدُوا عَلَى أُورُشَلِيمَ. لَحْمُهُمْ يَذُوبُ وَهُمْ وَاقِفُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ، وَعُيُونُهُمْ تَذُوبُ فِي أَوْقَابِهَا، وَلِسَانُهُمْ يَذُوبُ فِي فَمِهِمْ).[٣]

فهذه الحرب ستكون حرباً قوية قد تبدأ بحصار الأمم لأورشليم ولشعبها اليهودي وهذا يشير إلى أن اليهود سيمتلكون القدس كلها، مما يدعوا الأمم لعدائهم ومحاصرتهم فيها، إلا أن الرب سيتدخل لنصرة شعبه، فيدحر هذه الأمم عن أورشليم ويفك حصارها، ثم تخرج جيوش المسيح الأربعة لمحاربة كل أمم الأرض ابتداءً من العراق وسوريا ولبنان ثم مصر ثم دول أوروبا.

---

(١) زكريا ١٢: ٢ – ٥.

(٢) زكريا ١٤: ١٢.

(٣) المسيري – موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية – ج ٥ – ص ٤٣٠.

وبعد أن ينتصر المسيح عليهم يقود من بقي منهم إلى أورشليم فيخضعون لبني إسرائيل ولرب بني إسرائيل الساكن في هيكل أورشليم، ويقدمون له فروض الطاعة والخضوع، كما أشارت إليه آخر إصحاحات هذا السفر.

الفصل الثاني

تأثير المراحل الأولى لليوم الآخر في نبوءات سفر زكريا على الفكر الديني اليهودي لدولة إسرائيل

المبحث الأول

تأثير المرحلة الأولى لليوم الآخر: «رجوع الرب إلى اليهود وإلى أورشليم» على الفكر الديني لدولة إسرائيل

إن هذه المرحلة قد أثرت في الفكر الديني اليهودي لدولة إسرائيل من خلال جانبين: الأول: مفهوم الغضب الإلهي الذي نشأ عنه مفهوم «الوفاء الإلهي»، والثاني: حتمية رجوع الرب ونصرته لليهود في اليوم الآخر.

المطلب الأول

مفهوم الغضب الإلهي ومفهوم «الوفاء الإلهي»

أما بالنسبة لمفهوم الغضب الإلهي على اليهود: فإنه لا يعني الغضب المستمر أو التخلي عن الشعب أو تغييرهم بأمة أخرى، وهذا يعني تثبيت قضية الاختيار، فهم شعبه المختار حتى ولو غضب عليهم، يقول جاك مايلز: «لا يشتكي الغرباء من بعضهم بقدر ما يشتكي الرب و إسرائيل أحدهما من الآخر، فالعلاقة البديلة التي يؤكدها كتبة في هذا السفر تدلنا على أن الرب يعدّ علاقته مع إسرائيل علاقة خاصة وشخصية إلى أبعد حد، فهو لا يستبدل هذه العلاقة مع أمة أخرى، وإنما إذا غضب عليهم يستبدلها

مع موسى». [1]

وهنا نشأ مفهوم «الوفاء الإلهي» الذي يعتمد عليه اليهود في دولتهم، فالإله وفيٌ لهم لا يمكن أن يتخلى عنهم بأي حال، وقد ثبت هذا المفهوم عدد من الأنبياء قبل زكريا فمع أنهم تحدثوا عن عقاب الآثمين من اليهود وغيرهم فإنهم بينوا أن الرب يبقى وفياً لشعبه، وهنا ظهرت فكرة البقية الصالحة التي ستنجو من الهلاك، وظهرت أيضا فكرة تجديد الميثاق أو العهد مع الإله واسترجاع جماعة إسرائيل وعودتها وعودة الرب لها.[2]

ولعل الذي يقرأ العهد القديم سيجد أن صفة الغضب من أكثر الصفات حضوراً فيه، وهي ثالث أكثر صفة وروداً على مستوى العهد القديم كاملا بعد صفتي القدرة والكلام، فقد وردت فيه مائتين وخمس وخمسين مرة، «وهذا الأمر يدل على أن الأفعال التي ارتكبها بنو إسرائيل وسببت غضب الرب كانت كثيرة جدا، حتى إنه لشدة غضبه كان يشكو قومه المختار إلى موسى، فكان موسى يعظه بالصبر والرحمة وطول الأناة، بل وكان يثير فيه غريزة الحسد للآلهة الأخرى، فكان يقول له: فإذاً ماذا يقول أتباع الآلهة الأخرى إن أنت أهلكت شعبك ؟ وبهذه الكلمات كان موسى يخلص بني إسرائيل من غضب يهوه». [3]

فمع أن الرب يغضب عليهم إلا إنه بالمقابل يصر على إيهابه الأرض لهم، وأحياناً عليه أن يكون حليماً بهم، ويكون معهم، ويرحمهم، ويستجيب لمطالبهم، ويغفر آثامهم وأخيراً يكون وفياً بوعده لهم مهما فعلوا، فيفعل دائما ما يتوافق مع مصلحتهم، وهنا

---

(١) مايلز- جاك – سيرة الله – ترجمة ثائر ديب – ط ١ ١٩٩٨م – دار الحوار – اللاذقية – سوريا – ص١٤٢.

(٢) المسيري – موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية – ج ٥ – ص ٤٢٣ – ٤٢٤.

(٣) العاملي – محمد برو – الكتب السماوية والعلم – ط ١ – ٢٠٠٣ م –دار المحبة البيضاء –بيروت – ص١٧٣.

وانظر – وهيبي – عبد المحسن – ليسوءوا وجوهكم، نهاية إسرائيل حقيقة لا وهم – ط ١ – ٢٠٠٢م– دار الهادي – بيروت – ص ٧٧ – ٨١ .

نشأ في الفكر الديني الإسرائيلي مفهوم «الجماعة الدينية» أي أن الرب ينظر إلى بني إسرائيل كجماعة لا كأفراد، سواء من ناحية إحسانهم أو إساءتهم، وهم ينظرون إلى أنفسهم أيضاً كجماعة، ومن هنا جاء مفهوم «الأمة النبية» في مقارنة وضعها الديني بالعالم أجمع.

المطلب الثاني

حتمية رجوع الرب ونصرته لليهود في اليوم الآخر

أما بالنسبة للتأثير الثاني وهو: حتمية رجوع الرب ونصرته لليهود في اليوم الآخر: «فقد أصبح تدخل الإله في التاريخ اليهودي ونصرته للشعب «المختار» من ثوابت الفكر الأخروي اليهودي فيما بعد، وإن كانت الآخرة – هنا – مجرد نقطة تحول جوهرية في التاريخ ذاته، مثل الخروج من مصر أو الاستيطان في كنعان فإنها نقطة في الزمن التاريخي، إلا أنها تعني في المفهوم الأخروي التدخل المستمر من قبل الإله في التاريخ وحلوله فيه، وإن كان ثمة نهاية فهي تتجلى في الفكرة البدائية الخاصة بيوم الرب، ذلك اليوم الذي ستسود فيه جماعة يسرائيل على الجميع».[1]

ونشأ عن قضية حتمية رجوع الرب إلى اليهود وإلى أورشليم اتجاهان في الفكر اليهودي:

الاتجاه الأول: هو الاتجاه الذي يؤمن بأن قيام دولة إسرائيل في فلسطين وعودة المنفيين إليها يجب أن تحصل بطريقة إلهية خالصة، يتدخل الإله فيها، بحيث يحول مجريات التاريخ بعد عودة المسيح المنتظر، دون أن يتدخل الفرد اليهودي في تحويل أحداث التاريخ لأجل الوصل إلى قضية العودة.[2]

والاتجاه الثاني: هو الذي أصبح يؤمن بأن قضية عودة المنفيين إلى أورشليم يجب أن تحدث بتدخل اليهود في التاريخ وتهيئة الأجواء والأحداث لمجيء المسيح المنتظر؛

(١) المسيري – موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية – ج ٥ – ص ٤٢٣.
(٢) المرجع السابق – ج ٢ – ص ١٣٧ – بتصرف.

لهذا قرر أصحاب هذا الاتجاه تأسيس دولة يهودية في فلسطين معتقدين أنها خطوة كبيرة تكون عبارة عن مقدمة لمجيء المسيح المنتظر، ينتج عنها السيطرة على كل مقومات الأرض، أو بداية مراحل اليوم الآخر كما يصفها سفر زكريا، وأصحاب هذا الاتجاه هم الذين أسسوا الصهيونية والفكر الصهيوني العالمي.[1]

فأصحاب الاتجاه الأول ينتظرون عودة المسيح لإعادتهم للأرض الموعودة وإقامة دولة عليها، بينما أصحاب الاتجاه الثاني جعلوا إقامة الدولة في فلسطين شرطاً لعودة المسيح، لهذا وقع تضارب في بداية الأمر في الوقت الذي أقيمت فيه دولة اليهود في فلسطين بين أصحاب الاتجاه الأول الذين لم يعترفوا بالفكر الصهيوني وبين أصحاب الاتجاه الثاني الذين حاولوا إقناع أصحاب الاتجاه الأول بأن رجوع الرب لليهود يتطلب مقدمات مهمة، من أهمها: إقامة دولة يهودية ولو جزئياً على أرض فلسطين، فنجحوا في إقناع عدد كبير منهم إلا أن إسرائيل لا تزال تحتوي على عدد يصل إلى الآلاف من أصحاب الاتجاه الأول.[2]

ومن أهم الاتجاهات الدينية اليهودية التي رفضت الفكر الصهيوني الذي حرف قضية رجوع الرب لليهود كما وردت في سفر زكريا وغيره من الأسفار جماعة «أجوادات يسرائيل» التي بدأت حركة من اليهود الأرثوذكس «أتباع الحاخام هيرش على وجه الخصوص» الذين يرون أن اليهود أمة دينية وليست أمة قومية، وأنها لا يمكنها أن تتحول إلى أمة بالمعنى الكامل إلا بمقدم الماشيح الذي يعود بالمنفيين؛ لذلك عارضت «أجودات إسرائيل» الحركة الصهيونية وحاربتها في كل مكان، ولم تعترف بدار الحاخامية بفلسطين، ولكن على الرغم من هذا الخلاف فإنه لم يكد يمضي على تأسيس الحركة عدة سنوات حتى بدأت تتحول بالتدريج عن موقفها المعادي للصهيونية، وصرح قادتها بأن وعد بلفور والانتداب يتسقان إلى حد كبير مع الوعد الإلهي بالخلاص، ثم بدأت الحركة تتعاون مع المستوطنين الصهاينة حتى إذا كان عام

---

(١) انظر- المرجع السابق - ج ٢ - ص ١٣٧ بتصرف. و ج ٥ - ص ٦٢ و ص ٦٧.
(٢) المرجع السابق - ج ٥ - ص ٦٢ و ص ٦٧.

١٩٤٨ م وجدناها تشترك في أول حكومة إسرائيلية، وتصبح جزءً لا يتجزأ من الحياة السياسية في إسرائيل.[١]

المبحث الثاني

تأثير المرحلة الثانية لليوم الآخر: «بناء الهيكل وسكن الرب فيه» على الفكر الديني لدولة إسرائيل

نجد أن هاتين القضيتين – بناء الهيكل وسكن الرب فيه – قد أثرتا في الفكر اليهودي الحديث لدولة إسرائيل من خلال قضيتن نتجتا عنهما:

الأولى: المفهوم الديني للهيكل ومكانته في الفكر اليهودي.

والثانية: اعتماد الفكر اليهودي الديني على عقيدة السكنى «الشيخيناه «وحلول الرب في ثلاثة أشياء تعد المرتكز الأساس للفكر الديني الأخروي اليهودي، وهي حلول الإله في الهيكل وفي أورشليم ثم في الشعب اليهودي كله.

المطلب الأول

المفهوم الديني للهيكل ومكانته في الفكر اليهودي

أما بالنسبة للقضية الأولى فنحن نعلم أن اليهود يعتقدون أن سليمان عليه السلام بنى هيكلاً للرب كما جاء في سفر الملوك الثاني، وأصبح هذا الهيكل رمزاً دينياً وقومياً لليهود في مرحلة الملكية، ثم هدم هذا الهيكل عام ٥٨٦ ق. م على يد نبوخذ نصر أثناء حادثة الأسر البابلي، ثم بعد العودة من الأسر أعاد بناءه بعد صعوبات بالغة زربابل وكانت دعوة النبي زكريا الذي تنبأ في الفترة الواقعة بين ٥٢٠ – ٥١٨ ق. م تركز على إعادة بناء الهيكل بعد أن توقف العمل في بنائه خمسة عشر عاماً، ثم تم هدم هذا الهيكل على يد القائد الروماني تيتوس في القرن الأول للميلاد.

---

(١) المسيري – د. عبد الوهاب – الأيدلوجية الصهيونية – طبعة مجلة عالم المعرفة – الكويت – العدد ٦٠ – ١٩٨٢ م – ج ١ – ص ١٦٠.

وتم بعد ذلك تشريد اليهود في كل أرجاء الأرض، ولم يستطيعوا بناءه من جديد حتى هذا اليوم، وفسر اليهود هذه الحادثة بأنها انعكاس لغضب الرب على شعبه وأصبحت علامة استرضائه إعادة بناء الهيكل إلا أن السفر يخبر بأن الرب هو من سيقوم ببناء الهيكل الثالث في آخر الزمان كعلامة على رضا الرب على اليهود وعودته إليهم ولأورشليم وبداية مرحلة حكم اليهود للأرض وللأمم، الأرض كمفهوم أخروي.

فدارت حول قضية إعادة بناء الهيكل عدة أفكار يهودية دينية ألقت بظلالها على الفكر اليهودي الذي يسيطر على «دولة إسرائيل» الآن.

ولهذا يقول عبد الوهاب المسيري رحمه الله: «الهيكل الثالث: مصطلح ديني يهودي يشير إلى عودة اليهود بقيادة الماشيح إلى صهيون لإعادة بناء الهيكل في آخر الأيام... وبالتالي فهو مرتبط بالرؤى الأخروية، لا بالتاريخ الإنساني، ومع هذا فقد عَلْمَنَ الصهاينة هذه الرؤية وجعلوا الاستيطان الصهيوني هو العودة المشيحانية، وبالتالي فإن الدولة الصهيونية أصبحت تمثل الهيكل الثالث، أو الكومنولث الثالث». [1]

وعند دراسة تاريخ الحركات الصهيونية ذات الديباجة المسيحية نجد أن من أقوى هذه الحركات هي حركة «فرسان الهيكل» القديمة والحديثة، حيث نشأت الحركة القديمة عام ١١١٨ م في فلسطين، حيث كونت جماعة قتالية استيطانية في العالم الإسلامي كان هدفها استيطان القدس وإعادة بناء الهيكل، إلا أنها سقطت بعد استيلاء المسلمين على عكا عام ١٢٩٢ م، وأنهى دعوتهم الملك فيليب عام ١٣١٢ م، ملك فرنسا وقتل بعضهم وصادر أموالهم وطموحاتهم. [2]

«ونشأ على أثرها حركة فرسان الهيكل كناتج من حركة الأتقياء التي ظهرت في ألمانيا في القرن السابع عشر، واستمرت هذه الحركة حتى القرن التاسع عشر الميلادي، وكانت تبشر بقيام مملكة الرب وعودة المسيح إلى الأرض، ومع اندلاع حرب القرم عام ١٨٥٣ م اعتقد هوفمان «قائد الحركة» أن الوقت قد حان لإقامة مملكة الرب،

(١) المسيري – موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية – ج ٤ – ص ٢٧٠.
(٢) المرجع السابق – ج ٦ – ص ٢١٨ – ٢٢٢ بتصرف.

وسلخ أرض الميعاد في فلسطين عن الإمبراطورية العثمانية المتداعية، وجعلها موطنا لشعب الله المختار؛ تنفيذاً للوعود التوراتية، إلا أنه اعتقد أن هذه الوعود خاصة بالأمة المسيحية وليس بالشعب اليهودي الغارق بالشرور والنجاسات، وتبخر حلمه مع انتهاء حرب القرم وعدم سقوط الدولة العثمانية، إلا أن هذه الحركة استمرت في نشاطاتها على مدى فترة زمنية طويلة، حتى تمكنت من بناء بعض المستوطنات في فلسطين بعد الاحتلال الإسرائيلي لها». [1]

«ومن الطريف والمهم في هذا الأمر: أن بقايا فرسان الهيكل قد أصبحوا نواة الحزب النازي في فلسطين لثلاثينيات القرن العشرين، واختفوا تماماً مع سقوط النازية، وأن أهمية جمعية فرسان الهيكل تكمن في أنها تبلور النموذج الصهيوني بشكل لم يتحقق من بعد.. بحيث تتشابه الديباجات بين تجربة الصهاينة وتجربة فرسان الهيكل بشكل مدهش، فهي ديباجات حلولية كمونية، يتداخل فيها المقدس والنسبي، والتوراتي والعسكري بشكل شبه كامل». [2]

لهذا نجد أن مفهوم اليوم الآخر في الفكر اليهودي الديني الحديث ارتبط بقوة بمسألة إعادة بناء الهيكل؛ بحيث أصبحت هذه المسألة كعلامة أو شرط لتحقق الاستعمار اليهودي الشامل للأرض كلها وأممها، وبالتالي حكمها.

المطلب الثاني

اعتماد الفكر اليهودي الديني على عقيدة السكنى «الشيخيناه»

أما بالنسبة للقضية الثانية وهي سكنى الرب في الهيكل وحلوله فيه وتأثيرها: فإننا نجد قضية إيراد عدد كبير من كتبة أسفار العهد القديم لنصوص تؤكد حلول الرب

(١) المسيري – موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية – ج ٦ – ص ٢١٨ – ٢٢٢.
(٢) المرجع السابق.

وسكنه في الهيكل[1] بعد بنائه قد أثرت في الفكر الديني اليهودي بما يسمى بعقيدة «الشيخيناه» وهي التجلي الإلهي وهي كلمة عبرية تعني السكون أو الهجوع وتشير في الأدبيات اليهودية إلى الحضرة الإلهية أو حلول الإله في الإنسان والعالم، ويؤكد التلمود أن الحضرة الإلهية، لا توجد إلا في وسط الشعب، وهي تتلبس في اليهودي حينما ينفذ التعاليم الإلهية وهي تتحول إلى حقيقة فعلية أي تتجسد في الأشخاص والأماكن والأشياء ذات القداسة.[2]

ونجد حقيقة تفسير عقيدة الشيخيناه في الفكر اليهودي وعلاقتها بالهيكل الذي سيبنى في أورشليم بصورة أقرب إلى الخيال والأسطورية، حيث اعتقد بعض اليهود وبالذات أصحاب الفكر القبالي [3] بأن الشيخيناه هي «التعبير الأنثوي عن الإله الذي يتلقى الفيض ثم يوزعه على العالمين، وعبر عنها اليهود بصورة ملكة أنثى كانت في الأصل كياناً واحداً يضم الملك وأخته الملكة «الشيخيناه» فانفصل هذا الكيان ولا يزال الملك الأخ يبحث عن الملكة؛ لأنه لن يتم إصلاح الخلل الكوني الناجم عن سقوط الإنسان إلا بالاتحاد بينهما بصورة تمثل الجماع الجنسي، وقد خلق الإله الشعب اليهودي لإصلاح هذا الخلل، وكأن الكون قد اقترب من لحظة الخلاص حين اتحد الملك بصورة «موسى» مع الشيخيناه فوق جبل سيناء وكاد أن يصلح الخلل، ولكن خطيئة العجل الذهبي أعادته مرة أخرى، ومع ندم الشعب على فعلته بدأت مرة أخرى عملية الإصلاح التي أخذت شكل غزو أو اقتحام كنعان، ثم بناء الهيكل الذي حلت فيه الشيخيناه وتوحدت بالشعب ثم بسبب خطاياه هدم مخدع الشيخيناه «الهيكل» فنفيت الشيخيناه معهم خارج فلسطين».[4]

فتصبح عملية بناء الهيكل في أورشليم وحلول الرب فيه بصورة «الشيخيناه»

---

(١) راجع سفر الخروج ٢٥: ٨ ، و سفر اللاويين ١٦: ١٦ كمثال.

(٢) المسيري – موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية – ج ٥ – ص ٢٦٨ بتصرف.

(٣) الفكر القبالي هو الفكر الصوفي الباطني الذي مثله مجموعة من اليهود في أوروبا أطلق عليهم القباليون فسروا التوراة والتلمود تفسيراً باطنياً له علاقة بالفلسفات الوجودية. انظر: المسيري – الموسوعة – ج٥ – ص ٢٤٤ وما بعدها.

(٤) المسيري – موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية – ج ٥ – ص ٢٦٨.

واتحاده مع شعبه الذي يمثل الآن صورة الملك بدلاً من موسى تمثل عملية الإصلاح الكوني من جديد وتغيير معالم التاريخ وأحداثه وتغيير معالم الأرض والسماء؛ لتمثل أجمل صورة يظهرها الفكر اليهودي – حسب اعتقاد اليهود – لاتحاد الإله بالهيكل ثم بأورشليم ثم بالتالي بالشعب اليهودي أجمع.

وقد أثارت فكرة الشيخيناه قضية الشرك والتوحيد في الفكر اليهودي؛ بحيث ينظر إليها اليهود بثلاثة اتجاهات.

الأول: يعتقد أصحابه أنها مجرد تجل للإله أو حتى مجرد اسم من أسمائه.

والاتجاه الثاني: يمثله أحد كتب المدراش الذي جاء فيه فقرة يفهم منها أن الشيخيناه مادة منفصلة عن الإله، وأنه وضعها بين جماعة يسرائيل، وأنه يتحدث معها أحياناً، والشيخيناه حلت في الهيكل، ثم أدى هدمه إلى صعودها إلى السماء.

والثالث: يعتقد أصحابه أنها – أيضاً – مادة منفصلة عن الإله، وأنها حلت بالهيكل، إلا أنها بعد هدم الهيكل لم تصعد إلى السماء كلها وبقي جزء منها حالّاً في حائط المبكى يتأوه ويبكي من أجل الشعب، وأن خلاصها – ببناء الهيكل – خلاص للشعب الإسرائيلي ثم – إصلاح للكون – حسب طريقة الإصلاح اليهودية –.[1]

ويرى محمد بيومي مهران أن السبب في اعتقاد اليهود بحلول الرب في الهيكل ثم في أورشليم ثم في الشعب يتمثل بأن اليهود بعد تعرضهم لعدد كبير من المحن بدؤوا يعتقدون أن الأرض كلها نجسة، وأن كل شعوب وأمم الأرض يتصفون بالنجاسة إلا مكان واحد وشعب واحد، وهو فلسطين والشعب اليهودي، فهم وحدهم من يتصفون بالطهارة؛ لهذا فان الرب لا يمكن أن يحل ويتحد في مكان نجس، لأن الإله طاهر لهذا لن يجد إلا فلسطين، وبالذات أورشليم، وفي مكان واحد وهو هيكل أورشليم الذي سيبنى فيها، ثم بالتالي بالشعب اليهودي.[2]

---

(١) المسيري – موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية – ج ٥ – ص – ص ١٦٩ بتصرف.

(٢) مهران – محمد بيومي – بنو إسرائيل – ط ١٩٩٩ – دار المعرفة الجامعية – مصر – الإسكندرية – ج ٥ – ص ٨٩ – ٩٠ بتصرف.

المبحث الثالث

تأثير المرحلة الثانية لليوم الآخر: «مجيء المسيح المخلص» على الفكر الديني لدولة إسرائيل

إن كاتب سفر زكريا جعل عودة الرب إلى اليهود والى أورشليم مرتبطة بعودة المسيح، وهنا أريد أن أتحدث عن مرحلة مجيء المسيح وتأثيرها على الفكر الديني اليهودي من خلال ثلاث قضايا: الأولى: معنى كلمة المسيح وتأثيرها على الفكر اليهودي، الثانية: اختلاف الفكر اليهودي في ترتيب مجيء المسيح كمرحلة من مراحل اليوم الآخر، والثالثة: القضايا الدينية التي نتجت عن الإيمان بقدوم المسيح في الفكر اليهودي.

المطلب الأول

معنى كلمة المسيح وتأثيرها على الفكر اليهودي

إن كلمة «ماشيح» كلمة عبرية تعني المسوح بالزيت المقدس، وتشير إلى «المسيح المخلص» وكان اليهود يمسحون رأس الملك أو الكاهن بالزيت المقدس علامة على مكانته الخاصة، وعلى أن الروح الإلهية حلت فيه، وأثر هذا المعنى في الفكر الديني اليهودي من خلال الاتساع التدريجي الذي تعرض له معنى كلمة «ماشيح»، فبعد أن كان يطلق على الملك أو الكاهن أو النبي المسوح أصبح يطلق على كل الشعب اليهودي على أنهم شعب من المسحاء بالمعنى القداسي والحلولي، ثم اتسع ليطلق على كل من يقوم بتنفيذ مهمة يوكلها له الإله تتعلق بمصلحة إسرائيل تؤدي لتحقيق طموحاتهم فأطلقت كلمة الماشيح على كورش الفارسي؛ لأنه سمح للشعب اليهودي بالعودة إلى فلسطين وإقامة هيكلهم.[1]

---

(١) المسيري – موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية – ج ٥ – ص ٤٤٨.
وانظر: البار – محمد علي – المسيح المنتظر وتعاليم التلمود – ط ١ – ١٩٨٧– الدار السعودية – جده– ص ١٠٥ وما بعدها.
وانظر: الخطيب – عبد الكريم – المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل – ط ١ – ١٩٦٦ – دار الكتب

المطلب الثاني

اختلاف الفكر اليهودي في ترتيب مجيء المسيح كمرحلة من مراحل اليوم الآخر

أما بالنسبة لهذه القضية: فإنها مرتبطة بالمرحلة الأولى، وهي مرحلة عودة الرب لليهود والى أورشليم والاختلاف الذي وقع بين الفكر الديني اليهودي والفكر الصهيوني اليهودي، حيث إن عامة اليهود كانوا يعتقدون أن خروج المسيح هو العلامة الأولى على عودة الرب لليهود ولأورشليم، ومكثوا فترة طويلة ينتظرون عودته وهذا ما أوحت به أسفار الأنبياء عامة في مضمونها التنبؤي، وربطوا عودته ببناء الهيكل في أورشليم، فاعتقدوا أن مرحلة مجيء المسيح المخلص قبل بناء الهيكل.

«بل وركزت اليهودية الحاخامية على أن الماشيح هو أداة الإله في الخلاص، فأصبح من الواجب على اليهود انتظار عودة الماشيح في صبر وأناة، ويصبح من الكفر أن يحاول فرد أو جماعة التعجيل بالنهاية – أي أنه يتوجب على اليهود مجرد الانتظار لحين عودة الماشيح دون القيام بأي فعل لصالح جماعة يسرائيل أو إقامة دولة لهم؛ لأن كل ما يطمحون إليه سيقع بعد عودة المسيح، لا قبلها – ».[1]

لقد كان أمل العودة وإحياء مملكة إسرائيل أهم قواعد اليهودية الأرثوذكسية لفترة تزيد على ١٧٦٢ عاماً من ثورة بركوخيبا عام ١٣٥ م حتى بداية الحركة الصهيونية ١٨٩٧ م، حيث ولد وانقرض خلالها ستون جيلاً من اليهود، حيث كانت هذه الأجيال المتتابعة جميعها ترى أن تحقيق هدف العودة سيكون على يد «يهوه القدير» نفسه الذي سيرسل المسيح المخلص للقيام بهذا العمل، وليس ذلك من عمل شعب الله المختار

الحديثة – مصر.

(١) المسيري – موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية – ج ٥ – ص ٤٥١.
وانظر: ظاظا – د. حسن – الفكر الديني اليهودي – ط ١٩٧١ م – معهد البحوث والدراسات العربية – القاهرة – جامعة الدول العربية – ص ١٠٩ وما بعدها.

كما نادت الصهيونية، وكانت هذه النقطة هي نقطة الخلاف الفاصل بين الفريقين فاعتبر اليهود المتدينون الأرثوذكس الحركة الصهيونية حركة تمرد على الله وخيانة للشعب اليهودي. [١]

بينما نجد أن اليهود من أصحاب الفكر الصهيوني يعتقدون أن قيام «دولة إسرائيل» واحتلال أورشليم وبناء الهيكل كلها مقدمات على عودة المسيح، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة الحرب الكبرى التي سيقودها المسيح ضد كل أمم الأرض، والتي أشار إليها النص الأول الذي تنبأ بمجيء المسيح في سفر زكريا.

فيذكر حسن الباش أن «الصهيونية العالمية اليهودية واليهودية المسيحية تعتقد أن ثمة ثلاث إشارات تسبق خروج المسيح المخلص وحكم العالم، وهي:

الإشارة الأولى: قيام إسرائيل، وقد قامت عام ١٩٤٨ م، ولذلك اعتبر الصهاينة المسيحيون في أمريكا هذا الحدث أعظم حدث في التاريخ؛ لأنه جاء مصدقا للنبوءات الدينية بقيام دولة إسرائيل.

الإشارة الثانية: وهي احتلال القدس، وقد احتلت عام ١٩٦٧ م، ويرى المسيحيون الصهاينة أن القدس هي المدينة التي سيمارس المسيح حكم العالم منها بعد قدومه الثاني المنتظر.

الإشارة الثالثة: وهي إعادة بناء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى المبارك.

وبعد اكتمال مشروع بناء الهيكل ستقع المعركة الكبرى، وهي معركة هرمجدون حسب اعتقادهم ويظهر المسيح فوقها مباشرة، وسيرفع إليه بالجسد المؤمنين به، ليحكم العالم من القدس مدة ألف عام وتقوم بعدها القيامة الثانية». [٢]

---

(١) الشامي – د. رشاد – القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة – طبعة مجلة عالم المعرفة – العدد ١٨٦ – ط ١٩٩٤ م – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت – ص ١٠٥.

(٢) الباش – حسن – الكتاب والتوراة، عندما باع الحاخمات موسى – ط ٢٠٠٤١ م – دار قتيبه – دمشق – بيروت – ص ١٨٠. وانظر – طويله – عبد الوهاب عبد السلام – المسيح المنتظر ونهاية العالم – ط ٤ – ٢٠٠٢ م – دار السلام – القاهرة – ص ٢٧٤.

ويتصور زعماء البروتستنتية في أميركا أن عودة المسيح ترتبط بقيام حروب نووية عالمية؛ حتى أن الكاتب جيري فولويل – وهو من أكبر دعاة الصهيونية البروتستنتية الأميركية – يرى أن المسيح يبدو على هيئة رجل يمتطي حصاناً ابيضاً – وهو نفس الوصف الموجود في بداية سفر زكريا – وبينما تقترب هرمجدون حيث يموت الملايين فإن السيد المسيح سيلقي بالوحش والنبي الدجال عدو المسيح في بحيرة من نار وكبريت ملتهب، وهناك في المعتقدات المسيحية البروتستنتية ما يسمى بالنشوة الدينية وهي ترتبط بما بعد المعركة الكبرى التي يقودها المسيح.[1]

المطلب الثالث

القضايا الدينية التي نتجت عن الإيمان بقدوم المسيح في الفكر اليهودي

القضية الأولى: أن الحركة الصهيونية – بحد ذاتها – أصبحت تعبيراً عن المفهوم الخلاصي للمسيح المخلص، فإن الذين يبحثون عن الصلة التي تربط الصهيونية ذاتها بالتراث اليهودي يرون في الحركة – بحد ذاتها – رمزاً لمفهوم «نهاية الأيام» ويرون فيها – أيضاً – تحقيقاً للتحرر من حياة المنفى، ونهاية لحياة التجوال، وبداية للاستقرار. وهذا كله يعني أن فكرة الصهيونية في رأيهم امتداد للفكر الخلاصي في اليهودية، وقد وصفها بعضهم بأنها حركة خلاص علمانية في الفكر والوسائل التنفيذية، وهذا يعني أن زعماء الصهيونية استغلوا فكرة دينية لها مكانتها في الديانة اليهودية، وهي فكرة الخلاص والمسيح المخلص، وحاولوا تنفيذ هذه الفكرة بوسائل علمانية عن طريق استغلال الظروف السياسية، وتطبيق سياسة الاستيطان، ومحاولة إقناع الجماعات اليهودية بأنها أمة حرية وتقرير مصير، إلى آخره من محاولات تغيير المعنى الديني للخلاص إلى مضمون علماني؛ حتى تقتنع هذه الجماعات –وبخاصة الدينية منها–

(١) حسن – د. محمد خليفة – الحركة الصهيونية طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي– ط ١ – ١٩٨٠ – دار المعارف – القاهرة – ص ١٥ – ١٦ بتصرف.

بأن الفكر الصهيوني ما هو إلا امتداد طبيعي للفكر الديني اليهودي الخلاصي، بل ونتيجة طبيعية لهذا الفكر، فالصهيونية حسب هذا التفسير هي الحلقة الأخيرة في سلسلة الأحداث التاريخية اليهودية التي بدأت بالسبي البابلي وتشريد الجماعات اليهودية وتدمير الهيكل على يد الرومان إلى آخره من أحداث الاضطهاد التي جعلت الصهيونية وظهور الصهيونية ضرورة تاريخية في رأي أصحاب هذا الاتجاه الذين يحاولون أيضا تفسير فكرة العودة إلى صهيون وأورشليم بأنها فكرة قديمة في التاريخ اليهودي، – فتصبح الصهيونية تجسيداً لفكرة المسيح المخلص –.[١]

القضية الثانية: ظهور عقيدة «الأحلام الألفية» أو «العقيدة الاسترجاعية»

حيث يؤمن أصحاب هذا الاتجاه بأن المسيح المخلص هو شخص مرسل من الإله يتمتع بقداسة خاصة، وهو إنسان سماوي وكائن معجز، خلقه الإله قبل الدهور كلها، يبقى في السماء حتى تحين ساعة إرساله، وهو يجمع بين الطبيعيتين الإنسانية والإلهية بصورة حلولية اتحادية، يصبح فيها تعبيراً عن تجسد الإله في التاريخ، وهو ملك من نسل داوود – كما أشار لذلك سفر زكريا في النص الخامس الذي أوردته سابقاً– سيأتي بعد ظهور النبي إيليا؛ ليعدل مسار التاريخ اليهودي، بل والبشري، فينهي عذاب باليهود ويأتيهم بالخلاص، ويجمع شتات المنفيين ويعود بهم إلى صهيون ويحطم أعداء جماعة يسرائيل، ويتخذ أورشليم عاصمة له، ويعيد بناء الهيكل ويحكم بالشريعتين المكتوبة والشفوية[٢]، ويعيد كل مؤسسات اليهود القديمة، مثل السنهدرين ثم يبدأ الفردوس الأرضي الذي سيدوم ألف عام.[٣]

ومن هنا ظهرت عقيدة الأحلام الألفية في الفكر اليهودي وأصبح عدد كبير من اليهود يؤمنون بأن العالم في نهاية كل ألف عام يشهد انتهاء دورة زمنية تصاحبها

---

(١) المسيري – موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية – ج ٥ – ص ٤٤٨ بتصرف.

(٢) المكتوبة هي التوراة والشفوية هي التلمود.

(٣) المرجع السابق – ج ٦ – ص ٢١٠ بتصرف.

وانظر: البلوشي – جابر – كتاب ظهور المهدي عام ٢٠١٥ م نبوءة قرآنية – ط ٢٠٠٦ – الفصل الأول.

عادة أحداث ضخمة وأن التاريخ كله سيكون في نهاية ألف معينة – وانعكست على فكرة الماشيح بأنه سيأتي في نهاية ألف عام معينة، يتغير بعدها وجه العالم والتاريخ، ثم يحكم فيها العالم مع اليهود في هذه لمدة ألف عام إلى أن تأتي القيامة الثانية –.[١]

«وقد ربطت الصهيونية العالمية بين عقيدة مجيء المسيح المخلص وملكه الألفي بأن ربطت مجيء المسيح بقيام إسرائيل، ومجيء يهود التيه، وتدمير العالم الإسلامي بتدمير خصائص سكانه، والقضاء على الحركات الإسلامية، ونهب العالم العربي، والسيطرة على ثرواته، ثم القضاء على سكان الدلتا في مصر، لتصبح مستعمرة إسرائيلية، وجندت الصهيونية والأصولية المسيحية العديد من الكتاب والمبشرين وعلماء متحمسين للدعوة الألفية في الولايات المتحدة الأمريكية على مدار القرنين التاسع عشر والعشرين ولا تزال مستمرة حتى الآن». [٢]

«أمثال هال لندسي صاحب كتاب «الكرة الأرضية المرموقة»، و وليم ميلر مؤسس الادفنتست السبتيين في القرن التاسع عشر، وغريس هالسل صاحب كتاب «الفكر التوراتي والحرب النووية»، ومايك ايفانز صاحب محطة فضائية للبرامج الدينية واستضافة عدد من المبشرين في عدد من البرامج التلفزيونية التي تروج لفكرة الألفية ويشاهدها أكثر من واحد وستين مليون عائلة يهودية وأمريكية». [٣]

القضية الثالثة: انفصال الفرد اليهودي عن المجتمع غير اليهودي وإلغاء مفهوم السعادة الفردية

«حيث أضعفت عقيدة الماشيح انتماء أعضاء الجماعات اليهودية لمجتمعاتهم وخصوصاً في الغرب، وزادت انفصالهم عن الأغيار؛ ذلك أن انتظار الماشيح يلغي الإحساس بالانتماء الاجتماعي والتاريخي، ويلغي فكرة السعادة الفردية، أما الرغبة

(١) الماضي – مروان – الإدارة الأمريكية وتسييس نبوءات التوراة لآخر الزمان – ط ١ ٢٠٠٥ م– دار الفكر – دمشق – ص ١٢١.
(٢) المرجع السابق – ص ١٢٢.
(٣) المسيري – موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية – ج ٥ – ص ٤٤٩.

في العودة فتلغي إحساس اليهودي بالمكان وبالانتماء الجغرافي، – ويصبح انتماؤه لمرحلة ما بعد عودة الماشيح زمنياً وجغرافياً –». [1]

القضية الرابعة: تحويل فكرة الماشيح من فكرة متعلقة بشخص إلى فكرة متعلقة بزمن أو عصر يطلق عليه اسم العصر المشيحاني أو «سبت التاريخ».

حيث إن الكتابات الصهيونية تزخر بإشارات إلى العودة والعصر المشيحاني الذهبي، فنجد أن بعض الصهاينة لا يؤمنون بعودة الماشيح شخصياً، وأصبحوا يؤمنون بفكرة العصر المشيحاني، أو «سبت التاريخ»، أو «نهاية التاريخ»، وهو فكرة تستبعد شخصية الماشيح نفسه، أي أنها مشيحانية بدون ماشيح، وبالتالي عصر ماشيحي بدون إله فيتحالف اليهود المؤمنون والملحون حولها، حيث تعبر عن المشيحانية اللادينية، وهي تمثل محاولة استرجاع العصر المشيحاني الذهبي في فلسطين عن طريق التكنولوجيا والعنف والوسائل اللادينية كافة، دونما انتظار مقدم أي مبعوث الهي، مع محافظة الصهيونية على مشاعر اليهود من خلال التوقعات المشيحانية بتصعيد إحساسهم بالاضطهاد وبعدم الانتماء لبلادهم؛ حتى يفقدوا صلتهم بالزمان والمكان ويتجهوا إلى إسرائيل – بانتظار حلول العصر المشيحاني في المكان الذي سيقع فيه وهو فلسطين–. [2]

المبحث الرابع

تأثير المرحلتين الرابعة والخامسة لليوم الآخر: «خروج جيش لقتال الأمم و معاقبة أعداء اليهود والانتصار على كل الأمم» على الفكر الديني لدولة إسرائيل

نلاحظ أن النصوص التي تحدثت عن هذه الحرب المقدسة تملأ سفر زكريا من أوله إلى آخره، وكأن قضية خروج الجيش والحرب التي سيقيمها الرب في آخر الزمان بقيادة

(١) المرجع السابق – ج ٥ – ص ٤٥٣.
(٢) المرجع السابق – بتصرف.

المسيح المنتظر هي النبوءة الأساسية في سفر زكريا، وقد أثرت هذه النصوص في هذا السفر وفي غيره من أسفار الأنبياء التي تحدثت عن هذه الحرب الأخيرة وتفاصيلها في الفكر اليهودي والصهيوني معاً من خلال عدة قضايا.

المطلب الأول

ظهور مصطلح «يوم الرب» في الفكر اليهودي كمصطلح ديني أساسي

«وهو مصطلح يهودي أخروي، أصبح يعني في الفكر اليهودي اليوم الذي سيكشف فيه الإله عن نفسه للأمم بكل قوته وعظمته في آخر الأيام؛ ليحطم أعداء جماعة يسرائيل بسبب ما اقترفوه من آثام في حق شعبه المقدس المختار، وستعلو جماعة يسرائيل في ذلك اليوم وتسمو على العالمين بعد أن تتجدد قوتها، وتنتقم من أعدائها، وتؤسس مملكة قوية! وهذا المفهوم البدائي القومي ينم عن رغبة عميقة في الانتقام، ويحمل تضمينات عسكرية، ويجعل الآخرة أمراً مختصاً بالجماعة لا بالأفراد». [1]

ولتفسير مفهوم يوم الرب في الفكر اليهودي تفسيراً تفصيلياً ظهر ما يسمى بمعركة «هرمجدون» أو «آرمجدون» وتعني تل مجدو وهي مدينة في شمال فلسطين وأصبحت تعني في الفكر اليهودي المعركة التي ستقع في هذه المدينة «مجدو» وهي المعركة الفاصلة والنهائية بين ملوك الأرض تحت قيادة الشيطان والتي تمثلها قوى الشر وهي الأمم ضد القوى التابعة للإله والتي يمثلها اليهود وهي قوى الخير في نهاية التاريخ، وبعد انتصار قوى الخير ستأتي السماء الجديدة والأرض الجديدة والخلود، [2]– وهو ما أشار إليه النص الأول في سفر زكريا والذي يبين أن السبب الذي لأجله سيحارب الرب الأمم أنها ارتكبت الشر، فهي قوى الشر، وصورت النصوص اليهود بأنهم سيمثلون قوى الخير لهذا ستكون خاتمة هذه الحرب إحلال السلام على الأرض بوجود اليهود–.

---

(١) المسيري – موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية – ج ٦ – ص ٢١٦.
(٢) انظر – طويله – المسيح المنتظر ونهاية العالم – ص ٢٦٢ – ٢٧١ بتصرف.

المطلب الثاني

السيطرة على العالم

وهي قضية أساسية بناها الفكر التوراتي والتلمودي وأصبحت فيما بعد بسبب هذين الكتابين المقدسين عند اليهود قضية أساسية بني عليها الفكر والسلوك اليهودي بكليته وبمجمله، وتجلت هذه القضية في ما يسمى «المؤامرة اليهودية الكبرى» أو «المؤامرة اليهودية العالمية» والتي تفترض أن أعضاء الجماعات اليهودية يكوّنون كلاً واحداً متكاملاً متجانساً، وأن لهم طبيعةً واحدةً، وأن اليهودي شخص فريد لا يخضع للحركات الاجتماعية التي يوجد فيها، ولا ينتمي للملة التي يعيش بين ظهرانيها، وهو يقف دائما مقابل الأغيار «غير اليهود»، إذ ثمة خاصية ما في اليهود وخصوصية كامنة فيهم تجعل من العسير على كل المجتمعات الإنسانية دمجهم أو استيعابهم وتجعل اندماجهم فيها عسيراً.[1]

ويتسم اليهود «حسب نموذج المؤامرة الكبرى» بالشر والمكر والرغبة في التدمير – كما هو واضح من النصوص التي أوردتها في الموضوع – فهذه أمور وجدت في عقولهم بالفطرة، وهي بعد أساسي وثابت في طبيعتهم وسلوكهم هو تعبير عن مخطط جبار وضعه العقل اليهودي الذي يخطط ويدبر منذ بداية التاريخ، والذي وضع تفاصيل مؤامرة كبرى عالمية لتخريب الأخلاق وإفساد النفوس؛ حتى تزداد كل الشعوب ضعفاً ووهناً، بينما يزداد اليهود قوة، وذلك بهدف السيطرة على العالم، وإنشاء حكومة عالمية يكون مركزها أورشليم – كما هو واضح في نصوص هذا السفر –.[2]

ولهذا سعى اليهود والصهيونيون منذ بداية الحركة وبداية التاريخ الحديث بكل ما أوتوا من قوة ومال وقوة اقتصادية وسياسية على تفكيك كل من يعاديهم بشتى الوسائل، وبالذات الشعوب العربية والإسلامية؛ لإضعافهم ثم لإيصالهم إلى النقطة

---

(١) المسيري – موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية – ج ٢ – ص ٥٤٣ بتصرف.

(٢) راجع كتاب: مارس – جيم – الحكم بالسر– ط ٥ ٢٠٠٩ م – ترجمة محمد منير ادلبي – وعلي مولا– دار الأوائل – دمشق – ص ٢٦٩ و ٢٩٤ و ٣٦٢.

التي ينتظرونها بفارغ الصبر، وهي تدخل الإله لإنهاء هذه الشعوب والقضاء عليها وعلى مقدراتها وتمليكها لليهود، فيحكم اليهود العالم من أورشليم.[١]

لهذا قال بات روبتسون: «إن إعادة مولد إسرائيل هي الإشارة الوحيدة إلى أن العد التنازلي لنهاية الكون قد بدأ، كما أن بقية التنبؤات – الأخروية – أخذت تتحقق مع مولد إسرائيل».[٢]

المطلب الثالث

إعطاء الحرب وكل مكوناتها بعداً إلهياً مقدساً

إن هذه القضية ترسبت وترسخت في العقل اليهودي والنفس اليهودية بفعل هذه النصوص التي أوردناها من سفر زكريا، بل وكل أسفار العهد القديم، حيث تصف كلها الحرب أنها بأمر من إله اليهود، وأن الإله هو الذي سيقودها – بيد المسيح وجيشه – وهو الذي سينتقم ويدمر ويحطم كل الشعوب لأجل شعبه المختار، فأصبح من ثوابت السلوك اليهودي والصهيوني أن قتل الأغيار وتدمير منازلهم وممتلكاتهم وقتل نسائهم وأطفالهم وإذلالهم ما هو إلا فعل إلهي بالأصل أمر به الإله، وهو الذي فعل وسيفعل مثل هذه الأفعال التي أصبح الفرد اليهودي يعتقد أن فعلها علامة على إرضاء الرب والتقرب منه فانتفى المفهوم السياسي أو الاستعماري أو حتى الاقتصادي للحرب والقتل، وحل مكانها المفهوم الديني الإلهي القداسي.

«ويكاد العهد القديم أن يكون كتاباً لتاريخ حروب الرب وحروب شعبه، وهو يعج

---

(١) طويله – المسيح المنتظر ونهاية العالم – ص ٢٧٢ بتصرف.
وانظر: المسيري – موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية – ج ٧ – ص ٢٣١.
– وانظر: البراوي – عماد الدين شحته – الملاحم وأشراط الساعة المتعلقة بالشام بين اليهودية والإسلام ط ٢٠٠٧ – رسالة ماجستير – الجامعة الإسلامية – غزه كلية أصول الدين – قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة – ص ٩٢.
وانظر: البلوشي – جابر– ظهور المهدي عام ٢٠١٥ نبوءة قرآنية – الفصل الأول – النبوءات التوراتية–.

(٢) سفر يشوع ١٠: ٤٠.

بالحرب والقتل وهذه الحروب ليست إلا بأمر من الإله.

يقول كاتب سفر يشوع: (فضرب يشوع كل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وكل ملوكها لم يبق شارداً، بل حرم كل نسمة كما أمر الرب إله إسرائيل)[١]، وإن اللقب المحبب للإله هو رجل الحرب كما قال كاتب سفر الخروج: (الرب رجل الحرب، الرب اسمه)[٢]، ولذا كان الكهنة يتقدمون الجيوش المحاربة، وذلك بقيادة الرب نفسه، وجرت العادة لدى اليهود أن تسبق الحروب طقوس دينية كتقديم قربان للإله، ولذا وصفت الحروب الإسرائيلية بشكل عام حروب الرب، كما ورد في سفر صموئيل: (وأصفح عن ذنب أمتك؛ لأن الرب يصنع لسيدي بيتاً أميناً؛ لأن سيدي يحارب حروب الرب، ولم يوجد فيك شر كل أيامك) [٣]، واستحقت هذه الحروب أن توضع في سفر مقدس، وبالرغم من الغموض الذي يكتنف ضياع هذا السفر إلا أنه – يدل على أهمية الحرب في الفكر اليهودي وإعطائها بعداً مقدساً – وورد ذكر هذا السفر في سفر العدد، حيث قال الكاتب: (لذلك يقال في كتاب «حروب الرب» وأهب في سوفة واودية أرنون) [٤]."[٥]

المطلب الرابع

عسكرة المجتمع الإسرائيلي

إن من أكثر الأمور الملفتة للنظر في هذا السفر: أنه بدأ بوصف الرب بأنه رب الجنود وليس كعادة أسفار التوراة عندما تتحدث عن الرب تقف عند كلمة الرب أو الإله أو إيلوهيم أو الرب الإله أو الرب القدير، وقد تكرر هذا الوصف قرابة خمس وأربعين مرة قبل الحديث عن كل نبوءة أو إخبار جديد في ثنايا هذا السفر.

---

(١) سفر الخروج ١٥: ٣.

(٢) سفر صموئيل ٢٥: ٢٨.

(٣) سفر العدد ٢١: ١٤.

(٤) الريس – علي – الحرب المقدسة – بدون دار طبع وتاريخ الطبعة – ص ٣ – ٩.

(٥) كالترجمة العربية المسماة التفسير التطبيقي للكتاب المقدس وترجمة كتاب الحياة.

وقامت بعض الترجمات العربية للعهد القديم بترجمة كلمة رب الجنود إلى كلمة الرب القدير، وهذا خطأ في الترجمة يبعد النص عن مقاصده الصحيحة التي وضع فيه هذا الوصف لأجل إيصال رسالة لكل يهودي يقرؤه ويؤمن به،[1] ولو عدنا إلى الأصل العبري للعهد القديم سنجد أن الكلمة الأصلية في النص هي «يهوفاه صباؤوت»، أي: رب الجنود؛ لأن كلمة صباؤوت في اللغة العبرية تعني جنود أو جيش أو حشد.[2]

وكأن كاتب سفر زكريا أراد أن يضع تحقق كل مراحل اليوم الآخر التي توصل إلى نتائجها النهائية بانتصار الشعب اليهودي وسيادته على كل الأمم بأن يكون هذا الشعب كله مكون من جنود، فيمثل بالتالي جيش الإله الذي سيقاتل به الأمم في آخر الزمان وبالذات أن زمن عودة الإله في النبوءة الأولى ليس محدداً، فأصبح من باب الاستعداد لمقدم الرب ومقدم المسيح المخلص أن يكون الشعب الإسرائيلي شعباً عسكرياً بكل ما تحمل الكلمة من معنى.

وهنا نفهم سبب قيام دولة إسرائيل على نظام عسكري بحت وتركيزها على تكوين جيش قوي، كانت ولازالت تدعي أنه لا يقهر، وأنها تفرض على كل فرد يهودي أن يخوض مرحلة التدريب العسكري رجلاً كان أو امرأة، فعندما تتحدث عن إسرائيل واليهود فيها فأنت تتحدث عن مجموعة كبيرة من الجنود، وإسرائيل لا تفرض التدريب العسكري على اليهود الذين يعيشون خارجها، وإنما تتقيد بقضية تحديد مكان الجنود بأرض كنعان، وإنني اعتقد أن الهدف ليس السيطرة على أرض كنعان وحماية الدولة الاستعمارية فقط وإنما تحقيقا لهذا التوجيه الديني الموجود في سفر زكريا بالذات، بأن الرب هو رب للجنود وليس لعامة الناس، وكأن إسرائيل تؤمن أنها كلما حققت هذا الشرط وحولت شعبها إلى جيش وجنود اقترنت بالرب أكثر على أساس أنه ربها وحدها.

---

(١) بشاره و عثامنه – د. يوسف بشاره و د. رشاد عثامنه – القاموس الشخصي عبري عبري عربي، نسخة النيفيئييم العبرية من التناخ – ط ٢٠٠٧ – دار الهدى للطباعة والنشر – ص ٦١٥.

(٢) المسيري – انظر موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية – ج ٧ – ص ٣٦٨ – ٣٧٤.

وهنا نجد عبد الوهاب المسيري – رحمه الله – يتحدث عن هذا الموضوع فيقول: «ويتميز المجتمع الإسرائيلي بصبغة عسكرية شاملة قوية فجميع الإسرائيليين القادرين على حمل السلاح رجالاً ونساء يؤدون الخدمة الإلزامية، وينطبق على هذا المجتمع وصف «المجتمع المسلح» أو «الأمة المسلحة»، كما يصف الإسرائيليون أنفسهم» جيش في إجازة، كما قال أحد الأدباء الإسرائيليين».[١]

«ومن يدرس الظواهر الإسرائيلية ابتداءً من النظام التعليمي وانتهاءً بأكثر الأمور تفاهةً سيلاحظ الأبعاد العسكرية خلفها، فالبعد الاستيطاني مرتبط تماماً بالبعد العسكري، والهاجس الأمني يسيطر على السياسة العامة في كل القطاعات وعلى سلوك الإسرائيليين، بل على أحلامهم وأمراضهم النفسية، فالمجتمع «القلعة» لابد أن يكون مجتمعاً عسكرياً يحاول أن يحتفظ بالمادة البشرية في حالة تأهب عسكري دائم إذ يحتم البقاء – حسب الشروط الصهيونية – قهر العرب».[٢]

وهنا ندرك مدى تأثير سفر ذكريا على العقلية اليهودية التي كونت دولة إسرائيل حيث يوحي بوجود تحويل المجتمع الإسرائيلي إلى مجتمع جنود، وهذا ما فعلته إسرائيل تماماً وكأنها تحقق المرحلة الأولى من النبوءة المميزة في العهد القديم لتحصل على باقي المراحل، وإذا ما قرر الرب قيادة الحرب بعد بناء الهيكل فيجب أن يجد جنوداً متأهبين يشاركونه إياها فينصرهم ويملكهم الأرض، وأن مفهوم عسكرة المجتمع الإسرائيلي لا يحمل – فقط – أهدافاً سياسية أو عسكرية دفاعية فحسب، وإنما يحمل أبعاداً دينيةً قويةً ضاربةً في عمق الفكر الديني «لدولة إسرائيل».

---

(١) المسيري – د. عبد الوهاب – الصهيونية والعنف – ط ٢ – ٢٠٠٢ م – دار الشروق – القاهرة – ص١٢٦.

وانظر – مهران – بنو إسرائيل – ج ٤ – ص ٦٨٢ وما بعدها في حديثه عن التنظيمات العسكرية في تاريخ بني إسرائيل وكيف أسس العهد القديم لهذا المفهوم الذي أصبح أهم مرتكزات قيام دولة إسرائيل ليس فقط السياسية وإنما الدينية أولا.

(٢) المسيري – الصهيونية والعنف – ص ١٣٤

الفصل الثالث

موقف الإسلام من نبوءات سفر زكريا التي ضمت المراحل الأولى لليوم الآخر وأثرت في الفكر الديني «لدولة إسرائيل»

إننا في بيان موقف الإسلام من سفر زكريا – بشكل عام – ومن النبوءات التي تضمنها والتي تؤكد انتصار اليهود على كل أمم الأرض وحكمهم وتشكل مراحل اليوم الآخر في الفكر اليهودي لابد لنا من أن نذهب في اتجاهين:

الأول: النظر في مصداقية سفر زكريا «كنص «وبيان مدى صلته بالوحي الإلهي، ومدى قوة هذا النص؛ لأن يرقى إلى مستوى الخبر القطعي من الخبر الظني، والاتجاه الثاني: النظر في مصداقية ما تضمنه من نبوءات «كأخبار وأفكار» – بغض النظر عن مصداقية النص الذي جاء فيها وتضمنها – في ضوء ما جاء في القرآن الكريم عن مصير بني إسرائيل «ودولتهم».

وذلك لأنه الكتاب الوحيد في الوجود الذي يرقى لمرتبة الخبر القطعي والوحي الإلهي المحفوظ الذي لا شك فيه، وانطلاقاً من هيمنة هذا الكتاب العظيم على غيره من الكتب السماوية السابقة، سواءً أحتوت على الحق أم على بعضه أو على غيره، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.[1]

(١) سورة المائدة – آية ٤٨.

المطلب الأول

نقد مضمون سفر زكريا على مستوى «النص»

إنه بالرغم من تأثير سفر زكريا على الفكر الديني اليهودي «لدولة إسرائيل» إلا أننا نجد أن هذا السفر تعرض لعدد من الملاحظات النقدية على مستوى النقد النصي أثرت على بنائه ومصداقيته كنص مقدس، أذكر منها مختصراً:

أولاً: لقد شك عدد من الباحثين بنسبة هذا السفر لصاحبه وهو النبي زكريا بن برخيا بن عدو، وأكدوا على أن الرأي القائل بأن كاتبه هو هذا النبي أصبح مردوداً حالياً، وأكدوا أن كتابته تمت من خلال عدة كتبة وخلال فترات زمنية متباعدة، ولم يكن زكريا أحدهم، حيث وجدوا أن الجزء الثاني من السفر الذي يبدأ من الإصحاح التاسع إلى نهاية السفر لابد أن يكون قد كتب في الفترة اليونانية ما بين ٤٠٠ و ٢٠٠ ق.م؛ لأن هذا الجزء يتحدث عن الدولة اليونانية، ويشير إلى حملة الإسكندر العسكرية التي انتصر فيها على الفرس، مع أن الأبحاث التاريخية التوراتية تؤكد أن النبي زكريا الذي نسب له هذا السفر عاش في الفترة ما بين ٥٢٠ ق.م و ٥١٨ ق.م وكان من ضمن العائدين من السبي البابلي، وقد تنبأ في هذه الفترة، فكيف كتب هذا الجزء الذي يتحدث عن هذه الفترة وهو قد مات قبلها بقرابة قرن من الزمان.[١]

ثانياً: على الرغم من المؤكدات الكثيرة التي تدل على أن كاتب هذا السفر ليس النبي زكريا الذي نسب إليه السفر، وأنه كتب من قبل عدد من الكتبة على مدى فترات متباعدة، فإنه لا يوجد ما يدل على تاريخ كتابة هذا السفر من قبل هؤلاء الكتبة بوجهٍ قطعي، حيث تعددت آراء الباحثين في زمن كتابته على عدة أقوال، منها: ما رجح أن الجزء الأول منه من الإصحاح الأول حتى الثامن قد كتب بعد وفاة زكريا المنسوب له

---

(١) الساموك – العهد القديم دراسة نقدية – ص ٣١١.
– زكي شنوده – المجتمع اليهودي – ص ١٢٥.
– المسيري – موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية – ج ٥ – ص ١٧٥.
– محمد علي البار – الله جل جلاله والانبياء في التوراة والعهد القديم – ص ٥٣٦.

السفر بفترة قصيرة، بينما تشير بعض الآراء إلى أن أقرب وقت لكتابة هذا السفر هو عصر الإسكندر الأكبر في الفترة الواقعة ما بين ٣٥٦ – ٣٢٣ ق.م، أو بعد عودة اليهود من السبي البابلي في عام ٥٣٩ ق. م بزمن طويل، بل وهناك من رجح أن كتابة هذا السفر متأخرة جداً عن عصر زكريا، فهناك من يرجعها إلى عام ١٦٠ ق. م.[١]

بل ونجد أن صابر طعيمه يشير إلى أنه من الصعب جداً تحديد العصر الدقيق لكتابة هذا السفر؛ نظراً لقلة المصادر التي تساعدنا على الوصول إلى هذه النتيجة.[٢]

ثالثاً: نجد أن هذا السفر مليء بالأخطاء الكبيرة التي طالت تكوينه النصي، والتي تثبت أنه عمل بشري ولا علاقة له بالوحي الإلهي، فنجد أن هناك نصوصاً كثيرة تتناقض فيما بينها على مستوى الأخبار التي حملتها هذه النصوص، وهناك نصوص تتناقض مع الحقائق والوقائع التاريخية التي تحدث عنها السفر أو أشار إليها، وهناك نصوص تتناقض مع العقيدة الصحيحة بالله تعالى.

فمن النصوص التي تتناقض فيما بينها نجد الكاتب في الإصحاح الثامن في ٨: ١٣ نجد قول الكاتب: (١٣وَيَكُونُ كَمَا أَنَّكُمْ كُنْتُمْ لَعْنَةً بَيْنَ الأُمَمِ يَا بَيْتَ يَهُوذَا وَيَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ، كَذلِكَ أُخَلِّصُكُمْ فَتَكُونُونَ بَرَكَةً فَلاَ تَخَافُوا. لِتَتَشَدَّدْ أَيْدِيكُمْ)، و في ١١: ١٤ قول الكاتب: (١٣فَقَالَ لِي الرَّبُّ: «أَلْقِهَا إِلَى الْفَخَّارِيِّ، الثَّمَنَ الْكَرِيمَ الَّذِي ثَمَّنُونِي بِهِ». فَأَخَذْتُ الثَّلاَثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ وَأَلْقَيْتُهَا إِلَى الْفَخَّارِيِّ فِي بَيْتِ الرَّبِّ. ١٤ثُمَّ قَصَفْتُ عَصَايَ الأُخْرَى «حِبَالاً» لأَنْقُضَ الإِخَاءَ بَيْنَ يَهُوذَا وَإِسْرَائِيلَ).

يشير النص الأول إلى أن الرب سيجمع بين بيت يهوذا وإسرائيل الذين انقسموا إلى مملكتين بعد موت سليمان – عليه السلام – وسيجعلهم بركة وتتشدد أيديهم، بينما النص الثاني يناقضه تماماً عندما يشير إلى أن الرب سينقض الإخاء بين يهوذا وإسرائيل.

---

(١) انظر محمد بيومي مهران – بنو إسرائيل – ص ٥٧ – ٥٨.

(٢) د. صابر طعيمه – التراث الإسرائيلي – ص ٢٦١.

ومن النصوص التي تتناقض مع الوقائع التاريخية: قول الكاتب في الإصحاح الثالث ٣: ٦ قول الكاتب (٦فَأَشْهَدَ مَلاَكُ الرَّبِّ عَلَى يَهُوشَعَ قَائِلاً: ٧«هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: إِنْ سَلَكْتَ فِي طُرُقِي، وَإِنْ حَفِظْتَ شَعَائِرِي، فَأَنْتَ أَيْضًا تَدِينُ بَيْتِي، وَتُحَافِظُ أَيْضًا عَلَى دِيَارِي، وَأُعْطِيكَ مَسَالِكَ بَيْنَ هؤُلاَءِ الْوَاقِفِينَ) فالنص يفيد بأن يهوشع سيصبح ملكاً أو حاكماً على اليهود في أورشليم، وهذا لم يحدث أبداً، ولم يزد يهوشع عن أن يكون رئيساً للكهنة، وكان هناك ملوك وقادة غيره على إسرائيل، ولم تفد المصادر التاريخية بأنه ملك على إسرائيل ولو يوماً واحداً، فالنص يتحدث عن حدث تاريخي لم يحدث.

ومن النصوص التي تتناقض مع العقيدة الصحيحة بالله تعالى النصوص التي وصفت الله تعالى بالبداء، ومنها: ما وورد في ٨: ١٤ (١٤لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: كَمَا أَنِّي فَكَّرْتُ فِي أَنْ أُسِيءَ إِلَيْكُمْ حِينَ أَغْضَبَنِي آبَاؤُكُمْ، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ، وَلَمْ أَنْدَمْ. ١٥هكَذَا عُدْتُ وَفَكَّرْتُ فِي هذِهِ الأَيَّامِ فِي أَنْ أُحْسِنَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَبَيْتَ يَهُوذَا. لاَ تَخَافُوا)، فهذا النص يفيد بأن الكاتب وصف الرب بالبداء، وهو: أن يقرر الرب فعل شيء ما ثم يرى ما هو أفضل منه، فيترك الأول ويفعل الثاني، وهذا يدل على أن علم الله علم آني وليس مطلقاً، فوصف الرب بالبداء يدل على النقص في صفة العلم لديه.

وأشير إلى أن النصوص التي تحمل تناقضاً فيما بينها وتتناقض مع الوقائع التاريخية ومع العقيدة الصحيحة بالله تعالى كثيرة جداً، وتكاد لا تقرأ إصحاحا من هذا السفر إلا وتجد فيه هذه الأنواع الثلاثة من التناقضات وغيرها مما يؤدي إلى إطالة البحث لو أردت ذكرها أو إحصاءها.

وعندما نجد أن الباحثين يؤكدون عدم كتابة زكريا لهذا السفر، ولا يوجد أي دليل على وقت كتابته، ويؤكدون أن السفر كتبه عدد من الكتبة وفي فترات متباعدة وتعرض لعدد من عمليات الزيادة والحذف والترميم، وأن السفر يحمل عدداً كبيراً من التناقضات النصية والتاريخية والدينية، فلابد أن يكون عملاً بشرياً بحتاً بامتياز، وبالتالي فإن النبوءات التي تضمنها هذا السفر ما هي إلا عمل بشري أيضاً مما يجعلنا نؤكد أنها عبارة عن طموحات مستقبلية لكتبة التوراة وكهنتهم، وأن الله تعالى ما

أوحاها لهم مما يجعل الثقة بحدوثها تنتفي، وتبقى في إطار التخطيط للمستقبل، لهذا بالرغم من ذلك نجدها أثرت في الفكر الديني لدولة إسرائيل من وجهة نظرهم الدينية ومن خلال سعيهم الحثيث لتحقيقها، أما إذا وضعناها في قالب الحقائق الدينية التي حملتها الأخبار الصحيحة فإنها تبقى في الإطار الظني الذي لا طريق للقطع بصحتها فيه.

وبالذات عندما نجد أن المصادر التي شرحت هذا السفر أكدت جميعها على أن اليهود قتلوا النبي زكريا الذي نسبوا له هذا السفر،[1] فكيف يقتلونه وهو تنبأ لهم بأهم القضايا المستقبلية التي تخص وجودهم ومكانتهم في هذه الأرض ؟ وتنبأ لهم بانتصارهم على كل الأمم وملكيتهم الأرض وحكمها والتنعم بخيراتها وحدهم ؟ وهذا ما صرح به كاتب إنجيل متى على لسان المسيح – عليه السلام – مستشهداً بقصة قتله على ضلال وفجور بني إسرائيل، فقال كاتب سفر متى: (لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون، ومنهم: تجلدون في مجامعكم، وتطردون من مدينة إلى مدينة. ٣٥ لكي يأتي عليكم كل دم زكي سفك على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح).[2]

فطالما أنهم قتلوا النبي الذي نسبوا له هذا السفر فلا بد أن يكون الكهنة هم من وضعوه وصاغوه كما أرادوا، وأضافوا إليه ما شاؤوا لتحقيق مكاسب مادية ومعنوية في بني إسرائيل، فوعدوهم بما لم يعدهم به الله، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾.[3]

(١) راجع موسوعة الكتاب المقدس – الاصدار الرابع – شرح اسفار العهد القديم – شرح سفر زكريا.
(٢) إنجيل متى ٢٣: ٣٤ – ٣٦
(٣) سورة البقرة الآيتان ٧٨ و ٧٩.

المطلب الثاني

النقد على مستوى محتوى النبوءات

إن نبوءات سفر زكريا – بغض النظر عن مصداقية نصوصها من عدمها – تؤكد على قضية واحدة تدور حولها في ثنايا هذا السفر كاملاً وهي انتصار بني إسرائيل على كل أمم الأرض وملكهم لها، وحكم كل أممها وإخضاعهم، والسيطرة على فلسطين وما حولها، وبناء هيكل الرب في القدس علامة على ملكها، ولو عرضنا هذه النبوءة على القرآن الكريم سنجد أن القرآن الكريم أفاد عكسها تماماً، وأن النصر سيكون لعباد الله على بني إسرائيل في آخر الزمان، وهو ما ساقته سورة الإسراء بكل وضوح، على الرغم من الاختلاف الواقع بين العلماء في تفسير بعض ما جاءت به بشأن إفساد بني إسرائيل في الأرض مرتين.

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ ﴾.[1]

إن الله سبحانه وتعالى يبين في الآية الرابعة من سورة الإسراء أنه قضى على بني إسرائيل أنهم سيفسدون في الأرض مرتين ويعلون علواً كبيراً، وقد اختلف المفسرون في زمن هاتين الإفسادتين على أقوال، فمنهم من قال: إنهما وقعتا قبل زمن الإسلام،[2]

(١) سورة الإسراء الآيات ٤ – ٨.

(٢) ومن القائلين بهذا القول الطبري أبوجعفر محمد بن جرير الطبري ت(٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م (ط١)، ج١٧، ص٣٥٦–٣٦٥.

ومنهم من قال: إنهما وقعتا في زمن الإسلام،[1] ومنهم من قال: بأن الإفسادة الأولى وقعت قبل الإسلام في أيام دولة الآشوريين، ثم دولة البابليين، عندما تم أسر اليهود إلى آشور وبابل وتم إنهاء دولتهم في فلسطين بعد إفسادهم الديني والأخلاقي وإشراكهم بالله تعالى بعد وفاة سليمان – عليه السلام – وأن الثانية ستقع في زمن الإسلام،[2] ومنهم: من ذهب إلى أن معرفة زمن الإفسادتين من القضايا الغيبية التي استأثر الله بعلمها.[3]

وبغض النظر عن هذا الخلاف الواقع بين المفسرين فإن الله يبين في الآية الخامسة من هذه السورة أنه إذا جاء وقت ووعد الإفسادة الأولى فإن الله بعث أو سيبعث – على خلاف – عباداً له أولي بأس شديد جاسوا أو سيجوسوا خلال ديارهم في إشارة على انتصار هؤلاء العباد على «دولة إسرائيل» وإنهاء ملكهم والسيطرة عليهم.

ثم يبين الله في الآية السادسة أن بعد هذه الهزيمة الكبيرة التي سيتعرض لها بنو إسرائيل سيعيد الكرة لهم على هؤلاء العباد وينصرهم عليهم لقدر وتقدير يريده سبحانه وتعالى ويجعلهم أكثر عدداً وأكثر قوة وأكثر نفيراً، ثم يعقب الله تعالى في الآية السابعة أن هذا التمكين مرتبط بإحسان بني إسرائيل من عدمه، وأنهم واقعون تحت سنة الثواب والعقاب الإلهي، وليس كما جاء في سفر زكريا من أن الله سينصرهم بغض

والزمخشري جار الله محمود بن عمر الزمخشري ت(٥٣٨هـ/١١٤٣م)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق محمد عبد السلام شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م (ط١)، ج٢، ص٦٢٤.

(١) ومن القائلين بهذا القول الامام الشعراوي انظر محمد متولي الشعراوي ت(١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، تفسير الشعراوي، القاهرة، أخبارُ اليوم (قطاع الثقافة)، بدون تاريخ، ج١٣، ص٨٣٤٨–٨٣٥٢، وج١٤، ص ٨٣٥٣–٨٣٦٢.
والشيخ فضل حسن عباس انظر فضل حسن عباس ت (١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م)، الإسراء والمعراج – دروس ونفحات، عمان، دار الفرقان، ط١، ١٤٢٠هـ–٢٠٠٠م ص١١٣– ١٣١.

(٢) الدكتور عبد الكريم الخطيب د. عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، القاهرة، دار الفكر العربي، بدون تاريخ، ج٨، ص٤٤٤–٤٥٧.

(٣) منذر أبو هواش، مقالٌ منشورٌ على شبكة الإنترنت بعنوان: (حديثٌ حديثٌ في الإفسادَتَيْن)، موقع (ملتقى أهل التأويل).

النظر عن إحسانهم أو إساءتهم.

ثم يذكر الله تعالى في نفس الآية أنه إذا جاءت الإفسادة الثانية أو «الآخرة» أنه سيبعث عباداً له قد يكونون من صنف العباد الأوائل الذين جاسوا خلال ديارهم، وأنهم سيسيئون وجوههم ويدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ويهدمون كل ما بنوه وأعلوه من شأنهم من عمران أو حضارة أو مدنية، وهذا تأكيد على أن الله سينصر عباده المخلصين على بني إسرائيل وأن بني إسرائيل سيهزمون وينتهي ملكهم مهما كان ويدمرون تدميرا، وليس كما جاء في سفر زكريا بأن النصر في آخر الزمان سيكون لهم، واكبر ما يؤكد هزيمتهم قول الله تعالى في الآية الثامنة ﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾ أي أنه كلما ارتفع لكم شأن وأفسدتم في الأرض سنبعث عباداً لنا يهزمونكم وينهون ملككم وعلوكم، وهذه سنة الله الدائمة فيكم، التي لن تنقطع، وليس كما ورد في سفر زكريا بأن نصر الله وعودته لبني إسرائيل أمر حتمي مهما أحسنوا ومهما أفسدوا وأساؤوا.

ويختم الله تعالى هذه الآيات بقوله ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾ وهذه الكلمات فيها إشارة إلى بني إسرائيل في سياق الحديث عن مصيرهم، وإشارة لكل من يفعل فعلهم من الإفساد في الأرض أنهم واقعون في سنة الله تعالى في عقاب الكافرين بالله والمفسدين وأن جهنم مصيرهم، وليس كما جاء في سفر زكريا بأن الله سيملكهم الأرض ويجعلها لهم جنات وانهاراً بغض النظر عن فعلهم.

ومن أكبر ما يدل على نقض ما جاء في سفر زكريا: ما ورد في الآية مائة وأربعة من ذات السورة في قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ أي أن الله تعالى أتاح لبني إسرائيل أن يسكنوا الأرض، سواء الأرض أو أرض فلسطين – مجرد سكن وليس تملكاً – فإذا جاء وعد الإفسادة الثانية وعقوبة بني إسرائيل عليها أخبر الله بأنه سيأتي بهم لمكان هذه العقوبة «لفيفا» أي سيجمعهم من كل مكان لتحقق وعده فيهم، إذا عطفنا ما أفادته هذه الآية على ما ورد في الآيات التي في بداية سورة الإسراء.

والله تعالى أولى واعلم

الخاتمة

توصلت من خلال بحثي هذا إلى عدد من النتائج وهي:

أولاً: أن القرآن الكريم يؤكد إيمان موسى – عليه السلام – والأنبياء الذين سبقوه باليوم الآخر، في الوقت الذي لا تشير الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم والمنسوبة لموسى – عليه السلام – إلى هذا الإيمان من قريب أو بعيد، ولابد من وجود سبب لذلك يتعلق بالفكر الديني لليهود الذين كتبوا التوراة، لهذا على الباحثين في مفهوم اليوم الآخر في الفكر اليهودي التفريق بين ما عكسته التوراة عن هذا المفهوم وما ورد في القرآن الكريم وبعض المصادر الصحيحة عن إيمان اليهود باليوم الآخر.

ثانياً: أن أسفار الأنبياء في العهد القديم طورت مفهوم اليوم الآخر من خلال نبوءاتهم ونقلته من الأسطورية إلى الجدة والواقعية ولكن حسب الفكر اليهودي فحسب، وجعلت له مقدمات وأشراط ونتائج تستأهل الدراسة والتمحيص والمقارنة مع الفكرين المسيحي والإسلامي.

ثالثاً: أن الفكر الديني اليهودي مبني على قضية أساسية تكاد تكون كل عقائد اليهود متكئة عليها وهي حتمية عودة الرب لليهود التي نتج عنها مفهوم «الوفاء الإلهي» التي تؤكد أن غضب الرب على بني إسرائيل ليس مطلقاً وإنما هو مؤقت غير مرتبط بمعاصي اليهود إجمالاً، فمهما فعلوا لابد وأن يكون الإله وفياً لهم ويعود لنصرتهم، لكن بمفهوم أخروي وليس بمفهوم آني.

رابعاً: أن الفكر الصهيوني الحديث غيَّر و «عَلْمَنَ» عدداً من المفاهيم اليهودية المتعلقة باليوم الآخر، فجعل اليهود أداة للتدخل في عودة الرب لليهود وتحقق عقيدة «الوفاء الإلهي» بعد أن كان اليهود يؤمنون بأن عودة الرب لهم حتمية لكنها قدرية تابعة لإرادة الرب وحده دون أي تدخل منهم، وكذلك غَيَّرَ فكرة عودة المسيح من عودة شخصية لرجل يبعثه الرب لنصرة بني إسرائيل، وجعلوا قيام «دولة إسرائيل» تمثل عودة المسيح وكأنها أصبحت المسيح بذاته، مما انشأ مفهوم «العصر المسياني» كمفهوم تاريخي ستصل له «دولة إسرائيل» بدلاً من عودة المسيح بشخصه، وسيكون العصر

المسياني تابعاً له، فجعلوا العصر المسياني تابعاً «لدولتهم» التي أقاموها في فلسطين.

خامساً: أن قضية بناء الهيكل قضية أساسية في الفكر الأخروي اليهودي وقام الصهيونيون باستغلالها، وبنوا عليهم أسباباً متعددة لاحتلال القدس وفلسطين عامة واستغلوا هذه الفكرة في إقناع اليهود المتدينين بأحقية أفعالهم وطموحاتهم في أرض فلسطين.

وتأثر اليهود في هذه العقيدة بالتصور الذي طرحه كاتب سفر زكريا من خلال نشأة عقيدة السكنى «الشيخيناه» وأخذت أبعاداً كبيرة في فكرهم الديني وصل إلى اعتقاد أن اليهود هم الشعب الوحيد الطاهر في هذه الأرض، وأن الإله طاهر، فلا بد وأن يختار مكاناً طاهراً ليسكن فيه أو «يحل فيه» عندما يقرر التدخل في شؤون الأرض لصالح اليهود، وبالتالي لا يليق به إلا مكان واحد للسكنى وهو المكان الذي يتجمع فيه اليهود تحت مسمى الدولة وفي هيكلهم في القدس فقط.

سادساً: أن مرحلة عودة المسيح المنتظر التي ركز عليها سفر زكريا أثرت في الفكر الديني اليهودي من خلال ظهور عقيدة «الأحلام الألفية» التي تعتقد أن على رأس كل ألف عام سيحدث تغيير في معالم الأرض التاريخية، وفي أحدها سينزل المسيح ويقود الجيش الذي سيغزو فيه العالم ويحكم اليهود العالم من خلاله.

وأدت إلى انفصال الفرد اليهودي عن المجتمع، وألغت انتماءه إلى المكان الذي يعيش فيه وربطته بحلم مستقبلي عقدي يتعلق بمجيء المسيح يغادر فيه المكان الذي يعيش فيه وينتقل فيه إلى أورشليم وطنه النهائي.

سابعاً: أن سفر زكريا وضع أسس عداء اليهود للأمم التي حول فلسطين عندما صور أن الحرب الأخيرة ستبدأ في سوريا، ثم لبنان وفلسطين، والأردن، ثم ستنتهي في العراق ومصر ودول أوروبا، الأمر الذي أثر على علاقة اليهود بهذه الدول وسعيهم الحثيث على تدمير مقومات هذه الدول، تمهيداً لإنهائها والسيطرة عليها في تلك الحرب.

ثامناً: أن مرحلة خروج الجيش الذي سيقوده الرب ثم المسيح المنتظر وينهي فيه سلطان أمم الأرض ويملك اليهود عليهم أثرت في الفكر والفعل اليهودي «لدولة إسرائيل» من خلال سعي اليهود الحثيث على عسكرة المجتمع اليهودي وفرض الخدمة العسكرية على كل يهودي يعيش في إسرائيل، وأثر فيهم سفر زكريا من خلال مخاطبة الرب لهم في السفر عند حديثه عن كل الأشراط بقوله: «رب الجنود» فأصبحت قضية تحولهم لجنود قضية لازمة لربوبية الرب لهم وحدهم وتحقق النبوءات التي تحدث عنها السفر.

تاسعاً: أن تأثير سفر زكريا في الفكر الديني اليهودي والصهيوني كبير، وإنه من أهم الأسفار التي تعكس مفهوم اليوم الآخر بدقة، حيث استغرق هذا الموضوع السفر كله، ثم إنه من الأهمية بمكان دراسة التفسير المسيحي والإسلامي لهذا السفر ومقارنتهما بالتفسير اليهودي له لمعرفة وجه الحق والباطل فيما احتوى من نبوءات.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الكتاب المقدس – دار الكتاب المقدس – القاهرة – ط ٦ – ٢٠٠٦.

٣. أطماع اليهود – فؤاد حسين مزنر – دار الكتب الثقافية – بيروت – ط ١٩٨٧.

٤. الأيدلوجية الصهيونية – د. المسيري – طبعة مجلة عالم المعرفة – الكويت – العدد ٦٠ – ١٩٨٢ م.

٥. الإدارة الأمريكية وتسييس نبوءات التوراة لآخر الزمان – مروان الماضي – دار الفكر – دمشق – ط ١ ٢٠٠٥.

٦. بنو إسرائيل – محمد بيومي مهران – دار المعرفة الجامعية – مصر – الإسكندرية – ط ١٩٩٩.

٧. التراث الإسرائيلي وموقف القرآن منه – د صابر طعيمه – دار الجيل – بيروت – ط ١٩٧٩م.

٨. الحركة الصهيونية طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي – د. محمد خليفة حسن – دار المعارف –القاهرة – ط ١ – ١٩٨٠.

٩. الحرب على العراق رؤية توراتية يهودية – علي عبد الجليل علي – دار أسامة – عمان – ط ١ – ٢٠٠٤ .

١٠.الحكم بالسر – جيم مارس – ترجمة محمد منير ادلبي – وعلي مولا – دار الأوائل – دمشق ط ٥ ٢٠٠٩ م .

١١.الحرب المقدسة – علي الريس – بدون دار طبع وتاريخ الطبعة.

١٢.سيرة الله – جاك مايلز – ترجمة ثائر ديب – دار الحوار – اللاذقية – سوريا – ط ١ – ١٩٩٨ م .

١٣.الصهيونية والعنف – د. المسيري – دار الشروق – القاهرة – ط ٢ – ٢٠٠٢ م.

١٤.ظهور المهدي عام ٢٠١٥ نبوءة قرآنية – جابر البلوشي –بدون دار طبع – ط٢٠٠٦ .

١٥.العرب واليهود في التاريخ – أحمد سوسه – العربي للإعلان والنشر – ط ٢.

١٦.العهد القديم دراسة نقدية – د. علي سري المدرس و د سعدون الساموك – الأكاديميون للنشر والتوزيع – عمان – الأردن– ط ١ .
١٧.الفكر الديني اليهودي – د حسن ظاظا – معهد البحوث والدراسات العربية – القاهرة – جامعة الدول العربية – ط ١٩٧١ م.
١٨.القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة – د. رشاد الشامي – طبعة مجلة عالم المعرفة العدد ١٨٦ – ط ١٩٩٤ م – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت.
١٩.القاموس الشخصي عبري عبري عربي – د. يوسف بشاره و د. رشاد عثامنه – نسخة النيفيئييم العبرية من التناخ – دار الهدى – ط ٢٠٠٧.
٢٠.الكتب السماوية والعلم – محمد برو العاملي – دار المحبة البيضاء – بيروت – ط ١ – ٢٠٠٣ م.
٢١.الكتاب والتوراة – عندما باع الحاخمات موسى – حسن الباش – دار قتيبه – دمشق – بيروت – ط١ ٢٠٠٤ .
٢٢.لغز عشتار – فراس السواح – دار علاء الدين – دمشق – ط ١، ١٩٩٥.
٢٣.ليسوءوا وجوهكم، نهاية إسرائيل حقيقة لا وهم – عبد المحسن وهيبي – دار الهادي – بيروت – ط ١ – ٢٠٠٢ م.
٢٤.مقارنة الأديان – د. محمد الخطيب – دار المسيرة – عمان – الطبعة الأولى – ٢٠٠٤.
٢٥.المقاصد العقدية من خلال الصفات الإلهية في العهد القديم – د. علاء هيلات – رسالة دكتوراه – جامعة محمد الخامس – ٢٠٠٨م .
٢٦.موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية – د. عبد الوهاب المسيري– دار الشروق – القاهرة – ط ١ – ١٩٦٨ .
٢٧.موسوعة الكتاب المقدس – القس انطونيوس فهمي – تفسير سفر زكريا.
٢٨.موسوعة الكتاب المقدس– تفسير القس خادم المسيح – تفسير الكتاب المقدس – العهد القديم.

٢٩. المسيح المنتظر وتعاليم التلمود – محمد على البار – الدار السعودية – جده – ط ١ – ١٩٨٧.
٣٠. المسيح في القران والتوراة والإنجيل – عبد الكريم الخطيب – دار الكتب الحديثة مصر – ط ١ – ١٩٦٦.
٣١. المسيح المنتظر ونهاية العالم – عبد الوهاب عبد السلام طويله – دار السلام – القاهرة – ط ٤ – ٢٠٠٢ م.
٣٢. الملاحم وأشراط الساعة المتعلقة بالشام بين اليهودية والإسلام – عماد الدين شحته البراوي – رسالة ماجستير – الجامعة الإسلامية – غزه كلية أصول الدين – قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة – ط ٢٠٠٧.
٣٣. اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة – يسر محمد مبيض – مكتبة الغزالي – ادلب – ط ١ – ١٩٩٢.